16 em Année No. 798

Lundi — 18 — 10 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٧٩٨» القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٦٧ — ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

تشـــبه ... وشفاعة !

للأســـتاذ نقولا الحداد

دهش العالم العربى فى الشهر الماضى من حكم محكمة الجنايات العراقية على المليونى اليهودى شفيق عدس بالموت ثم بغرامة خمسة ملايين دينار (جنيه) . وكانت الجريمة أن هـذا العراقى الذى اكتسب هـذه الملايين من العراقيين بالأحابيل المالية المعروفة عند اليهود كان يشترى من مخلفات الجيش الآلات والأدوات الحربية من دبابات ومركبات مصفحة ومدافع وطائرات الخ ، ثم يفككها ويشحنها إلى إيطاليا بوصفها حدايد « خردة » ومن هناك ترسل إلى تل أبيب ، ثم يعيد الصهيونيون تركيبها كما كانت!

بهذه الحيلة الخبيثة اكتسب الصهيونيون فى فلسطين قدراً كبيراً من السلاح الذى كانوا يحاربون به العرب ، ومنهم العراقيون ، فكأن المال العراقى كان يسفك الدم العراقى !

وكيف تكون الخيانة العظمى غير هذا ؟

وقصاص الخيانة العظمى الموت !

ومنذ عهـد موسى إلى اليوم كان اليهود يعتبرون كل عمل لا يقبله شعب الله المختار خيانة عظمى يستحق فاعله الموت بوضعه فى الحائط المثلى . كذا ورد فى التلمود الأصلى . أما حكومة العراق فاكتفت بالشنق !

ذلك ما فعلته حكومة العراق فى أحد الخونة من رعاياها ... فماذا فعلت سائر الحكومات العربية الأخرى ؟ أليس عندها خونة من اليهود الذين جمعوا الثروات الطائلة فى جميع البلاد العربية ؟ لو تيسر لنا إحصاء ثروات البلاد العربية لوجدنا ثلاثة أرباعها لليهود ، واليهود أقلية فى البلاد قد يناهزون الواحد فى الألف ، ثم إذا تحققنا من مصير هذه الثروات وجدنا جانباً منها قد تسرب إلى تل أبيب لكى ينفق فى محاربة أولاد ناو ناسنا ، أليست هذه خيانة عظمى ؟ دعك من الحكم بالإعدام فى مثلى الحائط

لا نطلب حكما بالإعدام على من يستحقون الإعدام فذلك شأن القانون ، إنما نطلب بتجريد اليهود من المقدار الأكبر من هذه الثروات التى استنزفت من البلاد ، نطلبها لكى نعول بها إخواننا الفلسطينيين الذى شردتهم الأسلحة المقتناة بأموال اليهود المختلسة من البلاد !

إن أكثر من نصف مليون عربى فلسطينى طردهم اليهود طرداً من بلادهم وشردوهم شرقاً وجنوباً وشمالا ، ونهبوا أموالهم وغلالهم وحوانيتهم واحتلوا بيوتهم ونسفوا بعضها ... فكم يساوى هذا الذى اغتصبه اليهود ؟ ألا يساوى على الأقل ٥٠ مليون جنيه ؟

أفيعد ظلماً أن تُسترد هذه الملايين من أغنياء اليهود المقيمين فى البلاد العربية وهم يستنزفون أموالها ، قبل أن يقدموها هدايا سخية لدولة إزرائيل الملفقة ؟ أليس حقاً أن يموّن بها هؤلاء المشردون ريثما تتيسر لهم العودة إلى بلادهم آمنين !

من مهازل بعض اللبنانيين أنهم يقترحون على المطران مبارك

معاهد العلم فى عصر الحروب الصليبية :

الجـــامع الأزهر
فى عصر الحروب الصليبية

للأســتاذ أحمد أحمد بدوى

الجامع الأزهر أول مساجد القاهرة ، أنشأه جوهر الصقلى بأمر المعز لدين الله أول خلفاء الفاطميين فى مصر وتم بناؤه سنة ٣٦١ هـ ، ومنذ ذلك الحين ظفر الأزهر بعناية الفاطميين جيلا بعد جيل .

وكانت الغاية الأولى من تشييده إقامة الصلاة فيه ، ولـكن لم يمض على إنشائه وقت قصير حتى سأل الوزير يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء ، فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق ؛ وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة إلى أن تصلى العصر ، وكانت عدتهم خمسة وثلاثين رجلا ، وكان لهم أيضاً من مال الوزير صلة فى كل سنة ، كما كانوا موضع عطف الخليفة يخلع عليهم فى عيد الفطر

صار الأزهر منذ ذلك التاريخ من أهم مواطن الثقافة فى مصر ، ولـكن التعليم قد اصطبغ فيه ولا ريب — بالصبغـة المذهبية ؛ فـكان الفقه يدرس فيه على مذهب الشيعة ، وتقرأ فيه كتب هذا المذهب ، من مثل كتاب الاقتصار الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت ، وكتاب دعائم الإسلام ، وكتاب الأخبار فى فضل الأئمة الأبرار له أيضاً ، كما كانت تقرأ فيه الرسـالة الوزيرية ، وهى كتاب الوزير ابن كلس فى الفقه الشيعى على مذهب الإسماعيلية ، وأفتى الناس بما فيه .

كانت الصبغة الدينية هى الغالبة على الأزهر ، أما العـلوم الفلسفية فقد نهضت بها دار الحـكمة ، وإن كان يبدو أن هـذه العلوم أيضاً كانت تدرس بالأزهر فى حدود ضيقة ؛ فقد كان الدعاة وهم أساتذة دار الحـكمة يجلسون للتدريس فى الجامع الأزهر أحياناً كثيرة ، وكان داعى الدعاة يدرس فيه درساً خاصاً للنساء .

الذى نفى بسبب مهازله السـياسية ، ثم غفر له قداسة البابا فعاد إلى ميدانه ، يقترحون عليه أن يشفع عند اليهود للعرب اللاجئين لـكى يسمحوا لهم أن يعودوا إلى بلادهم . ذلك لأن مساعى المطران جورج الحـكيم ، مطران فلسطين ، لإعانة اللاجئين لا تعجبهم ؛ فسألنا أحد هؤلاء المقترحين : ولماذا تطلبون شفاعة المطران مبارك ؟ فأجاب لأن اللبنانيين أصدقاء اليهود فهم يقبلون شفاعتهم ويراعون خاطرهم !

ما شاء الله ! أإلى هنا وصلنا ؟ نطلب وساطة مطران اليهود لدى اليهود لينعموا على العرب ببيوتهم !

من قال للمطران مبارك والمقترحين الشفاعة عليه أن العرب يقبلون هذه الصدقة منهم ؟!

سيعود العرب — بقوة الله — إلى بلادهم مرفوعى الرأس مرهوبى الجانب عند ما تنكسر شوكة الطغاة الأراذل !

كنا نظن أن أصدقاء اليهود فى لبنان يقترحون على المطران مبارك أن يجمع الإعانات للاجئين إذا كان له نفوذ بين شعبه . وإذا كانت له هذه المـكانة عند اليهود ، فلينقذ القرى اللبنانية التى غزاها اليهود وطردوا أهلها منها . أليست هذه القرى فى دائرة إرشيته ؟ !

وهل يستطيع المطران مبارك أن يدفع الذئاب من اليهود عن العرب لو أتيح له أن يعيدهم إلى بلادهم . لماذا « طفشوا » ؟ أليس لأن أطفالهم ونساءهم العزل لا يستطيعون أن يقاوموا ذئاباً. فماذا أعد لحمايتهم من هؤلاء الذئاب ؟ !

إن من البلايا التى نزلت بفلسطين أن بعض أثرياء اللبنانيين كانوا سببها ، لأنهم باعوا لليهود أملاكهم التى فى فلسـطين ، فوجد الصهيونيون رحاباً فسيحة يزرعون فيهـا مستعمراتهم ، ويعدون منها أيديهم وأرجلهم إلى ما حولهم ، حتى يطغوا فى المستقبل على لبنان ، ويومئذ يصبح المطران مبارك حاخاماً لا مطراناً — فليهنأ هو وقومه حينذاك !

فإذا ذكرت نكبة فلسطين ، وذكرت إغاثة أهلها ، فليخرس الجانب الصهيونى من اللبنانيين !

حسبهم خزياً أنهم لم يفعلوا شيئاً فى حرب اليهود ، ولم يحموا بعض القرى اللبنانية منهم !

نقولا الحداد

ولست أدرى إن كان غير مذهب الشيعة الإسماعيلية فى الفقه وغيره قد وجد سبيله إلى الأزهر فى الأوقات التى كانت تضعف فيها حدة الدعوة الإسماعيلية كما حدث فى عهد الأفضل الإمامى المتسامح وزير الآمر ، والعادل بن السلار السنى وزير الظافر .

غير أنه مما لا شك فيه أن مذهب الشيعة قد اختفى تدريسه من الأزهر يوم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ، وأبطل الخطبة من الجامع الأزهر ، ذلك أنه قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس ، وهو شافعى ، فعمل بمقتضى مذهبه ، وهو امتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد ؛ فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر وأقرها بالجامع الحاكمى لكونه أوسع . والظاهر أن ذلك لم يكن إلا تبريراً لما أراده صلاح الدين من إهمال أمر الأزهر وصرف عناية الناس عنه ، لأنه أقدم موطن لنشر دعوة الشيعة فى البلاد ، ولولا ذلك لأمكنه أن يجمع فيه مرة وفى الجامع الحاكمى أخرى ، ولكن إهمال الأزهر كان خطة رسمها صلاح الدين وخلفاؤه من بعده ، فأنشئوا المدارس المختلفة التى نافسته ، وأقبل عليها المدرسون أكثر من إقبالهم على الأزهر ، لكثرة ما تدره هذه المدارس على مدرسيها وطلبتها ، ولما كانت تظفر به من رعاية أولى الأمر ؛ ولكن التدريس لم ينقطع من الجامع الأزهر برغم انقطاع خطبة الجمعة فيه ، وإهمال السلاطين أمره ، وها هو ذا عبد اللطيف البغدادى يأتى إليه فى عصر العادل ويتردد عليه عشر سنين ، مستمعاً إلى الأساتذة المحاضرين حيناً ، وقائماً بتدريس الطب والفلسفة والمنطق طرفى النهار حيناً آخر .

وظل الجامع مهملاً من سلاطين الدولة ، والجمعة فيه معطلة زهاء مائة عام إلى أن سكن بجواره الأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة فى عهد بيبرس ، فانتزع كثيراً من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة ، وتبرع له ، وأصلحه وأقام فيه منبراً ، وأذن القاضى الحنفى بإعادة الخطبة فيه ، فأعيدت يوم الجمعة ١٨ ربيع الآخر سنة ٦٦٥ هـ ، وعمل الأمير فيه مقصورة رتب فيها مدرساً وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعى ، ورتب محدثاً يسمع الحديث النبوى والرقائق ، ورتب سبعة لقراءة القرآن ، ووقف على ذلك أوقافاً دارّة تكفيه ، ولم يلبث الأزهر أن ظفر بمكانة سامية يدل عليها أن الذى تولى أمر خطابته فى عهد المنصور قلاوون وابنه هو عبد الرحمن ابن بنت الأعز ، قاضى قضاة الشافعية ، ومن بعده كذلك محمد بن ابراهيم بن جماعة .

وذاع صيت الأزهر منذ ذلك الحين ، وأصبح معهداً علمياً يؤمه الناس من كل فج ، ولاقى الأزهر من العناية الشىء الكثير ، وزاد فى مجده أن غزوات المغول فى المشرق قضت على معاهد العلم فيه ، وأن الإسلام أصابه فى المغرب من التفكك والانحلال ما أدى إلى دمار مدارسه الزاهية .

وحفظ التاريخ من أسماء مدرسيه فى عصر الحروب الصليبية محمد بن بركات بن هلال الصوفى ، أحد فضلاء المصريين وأعيانهم أخذ النحو والأدب عن أبى الحسن بن بابشاذ فأتقنهما ، وله أيضاً معرفة حسنة بالأخبار والأشعار ، ولكنه كان منحطاً فى الشعر ، يقول السيوطى عنه : ليس له أحسن من هذين البيتين :

يا عنق الإبريق من فضة ويا قوام الغصن الرطب
هبك تجافيت وأقصيتنى تقدر أن تخرج من قلبى ؟!

والظاهر أنه كان مضيقاً عليه فى الرزق ، يدلنا على ذلك ما روى من أنه وقف للأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ، وهو راكب فى الطريق فأنشده :

يا رحمة الله التى وسعها لم يضق
لم يبق إلا رمق فاستبق منى رمق
وعن قليل لا أرى كأننى لم أخلق

فسأل الأفضل عنه ، فقيل له هذا بحر العلم ابن بركات النحوى ، فقال له الأفضل أنت شيخ معروف ، وفضلك موصوف ، وقد حملنا عنك الوقوف وأمر له بشئ . ويبدو أنه اتصل بالأفضل بعدئذ ، وألف له كتاب الإيجاز فى معرفة ما فى القرآن من منسوخ وناسخ ، ولعل هذا الكتاب وما ألفه فى النحو من تصانيف من بين ما قرأه فى الأزهر على طلبته . كما أنه وضع كتاباً فى خطط مصر أجاد فيه ، وتوفى فى ربيع الآخر سنة ٥٢٠ وله مائة سنة وثلاثة أشهر .

ومنهم الحسن بن الخطير أبو على النعمان الفارسى المعروف بالظهير ؛ وقد اشتغل زمناً طويلا بالتدريس فى الأزهر ، روى عنه ياقوت أنه قال : أنا من ولد النعمان بن المنذر ، ومولدى بقرية تعرف بالنعمانية ، ومنها ارتحلت إلى شيراز ، فتفقهت بها ، فقيل

لى الفارسى ، وأنتحل مذهب النعمان وانتصر له فيما وافق اجتهادى .

قال ياقوت : وكان عالماً بفنون من العلم ، قارئاً بالعشر والشواذ ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه والفقه والخلاف والكلام والمنطق والحساب والهيئة والطب ، مبرزاً فى اللغة والنحو والعروض والقوافى ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم . ومما ساعده على معرفة ذلك كله أنه كان يحفظ فى كل فن من هذه الفنون كتاباً ، فكان يحفظ فى التفسير كتاب لباب التفسير لتاج القراء ، وفى فقه الشافعى كتاب الوجيز للغزالى ، وفى فقه أبى حنيفة كتاب الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيبانى ، نظم النسفى ، وفى الكلام كتاب نهاية الإقدام للشهرستانى ، وفى اللغة كتاب الجمهرة لابن دريد ، وكان يسردها — كما قيل — كما يسرد القارئ الفاتحة ، وكان يحفظ فى النحو كتاب الإيضاح لأبى على الفارسى ، وفى العروض كتاب الصاحب بن عباد ، وكان يحفظ فى المنطق أرجوزة أبى على بن سينا ، وكان قيما بمعرفة قانون الطب له ، وكان عارفاً باللغة العبرية ويناظر أهلها بها ، وقد ظل يحفظ متون هذه العلوم مدة أربع عشرة سنة كان يكتبها ألواحاً ، ويحفظها كما يحفظ القرآن .

وكان الغالب عليه الأدب واللغة يجلس بين يديه شيخ الديار المصرية عثمان بن عيسى النحوى ، ويسأله سؤال المستفيد عن حروف من حوشى اللغة . وفى مرة سأله عن كلة منحوتة ، ففسرها له ، وأملاه كلمات على مثالها فى نحو عشرين ورقة من حفظه ، وسمى ما أملاه كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب . وكان ابن سناء الملك يسأله عن كلمات من غريب كلام العرب وهو يجيب عنها بشواهدها . وقد كانت معرفته باللغة سبباً فى انتصاره على المجير البغدادى عند ما دخل خوزستان؛ فقد بدأ مناظرته إياه بألفاظ حوشية أحب المجير أن يستفسر عنها؛ وهنا انتهز النعمان هذه الفرصة فشنع عليه وقال : انظر إلى المدعى رتبة الإمامة يجهل لغة العرب ... والمناظرة إنما اشتقت من النظير ، وليس هذا بنظيرى ، لجهله بأحد العلوم التى يلزم المجتهد القيام بها . وكثر لغط أهل المجلس وانفض ، « وشاع فى الناس أنى قطعته » .

وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة ، فأغراه المعز عثمان ابن صلاح الدين بالحضور معه إلى القاهرة ، وأجرى عليه كل شهر ستين ديناراً أو مائة رطل خبزاً ، وخروفاً وشمعة كل يوم ومال إليه الناس والعلماء ، وصار له سوق قائمة ، إلى أن قرر المعز المناظرة بينه وبين شهاب الدين الطوسى ، ولكن الطوسى فى يوم عيد انتهز كلة مجاملة قالها الظهير للمعز فى أثناء الكلام ، ولم يعرر الطوسى النطق بها فأصماه ، وانكسرت حرمته عند المعز ، وشاعت القصة بين العوام ، وانتهى أمره بأن انضوى إلى المدرسة التى أنشأها تركون الأسدى يدرس بها مذهب أبى حنيفة إلى أن مات سنة ٥٩٨ .

وكان قد أملى كتاباً فى تفسير القرآن وصل فيه إلى تفسير قوله تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . فى نحو مائتى ورقة ، ومات ولم يختم تفسير سورة البقرة . وله كتاب فى شرح الصحيحين ، اختصره من كتاب الإفصاح فى تفسير الصحاح للوزير ابن هبيرة ، وزاد عليها أشياء وقع اختياره عليها ، وكتاب فى اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار ولم يتمه ، وله خطب وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة وحواشيها .

ومن أساتذة الأزهر يومئذ نصر بن محمود المظفر الأديب النحوى اللغوى ، قرأ الأدب على ابن الخشاب والكمال الأنبارى ، وسمع بمصر من البوصيرى ، ولعله قرأ بالأزهر رسالته فى الضاد والظاء ، ومات سنة ٦٣٠ .

ومن تصدر للاقراء فيه شيخ الإقراء بالديار المصرية على ابن يوسف الشطنوفى المولود بالقاهرة سنة ٦٤٧ ، وقد تكاثر عليه الطلبة وكان الناس يكرمونه ، وينسبونه إلى الصلاح ويحمدون سيرته ، وانتفع به جماعة فى القراءة ، كما كان معدوداً من النحاة ، وله اليد الطولى فى علم التفسير ، أملى فيه تعليقاً على طلبته ، وكان أستاذه الروحى عبد القادر الجيلى . جمع أخباره ومناقبه فى ثلاثة مجلدات ، وسمى كتابه البهجة ، ولشدة إعجابه به دون كل ما سمعه عنه ولو كان الراوى غير أهل للثقة ، فدخل فى الكتاب حكايات كثيرة مكذوبة . وقد ولى الشطنوفى أيضاً تدريس التفسير بالجامع الطولونى والإقراء بجامع الحاكم ، ومات بالقاهرة سنة ٧١٣ .

ومن أعلام الصوفية الذين جلسوا بالجامع الأزهر ، وتحدثوا بعباداتهم فيه يومئذ تاج الدين بن عطاء الله السكندرى المتوفى سنة ٧٠٩ ، كما كان يقيم عمر بن الفارض الشاعر الصوفى المشهور

(حلوان الحمامات) **أحمد أحمد بدوى**

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

٣ — الاتجاهات الحديثة في الإسلام :

القـــانون والمجتمع (*)

للأستاذ هـ . ا . ر . جب

... كان هناك من الجهة الأخرى حق واحد — كان التشريع الاجتماعي في الإسلام حازما فيه ومشدداً ، هو حق الملاقات الشخصية التي تشتمل على الزواج والطلاق والإرث .

وليس السبب في هذا الحزم أن هذه الملاقات عامة يمتد تأثيرها إلى كل فرد في المجتمع فقط ، بل أيضاً لأن تنظيماتها الأساسية واضحة في القرآن . وليس هناك — كما رأينا — مسلمون — إلا قليلا — يرغبون في الجدل في أن القرآن هو الكلام الحقيقي لله . ولئن كانت الثغرة التي بين الاعتقاد في ضرورة التغير ، وبين التغيير الحقيقي في القانون ، لا يمكن وصلها بسهولة وسرعة في أي نظام ، فإنها ستتأثر قطماً بالثورة ؛ كما قد حدث في تركيا . ولذلك نجد في كل دولة إسلامية — ما خلا تركيا — أن القانون الفردي للمسلمين لا تنفذه المحاكم الأهلية ، وإنما تنفذه المحاكم الدينية أو الشرعية . بل كان لكل طائفة من الطوائف الدينية المختلفة محاكم تنفذ قوانينهم ، طبقاً لنظامهم المرعية في تقاليدهم الدينية[1] .

وفي الحق أن ميدان العلاقات الشخصية هذا ، هو الوحيد الذي طالب المجددون فيه بالإصلاح ، وقد بلغ الخلاف أشده بين الأحرار والمحافظين . فليس من شك في أن الوعي الاجتماعي عند الطبقات المثقفة قد أيقظته المساوىء التي صحبت انتشار الطلاق وتعدد الزوجات . فهم قد تنبهوا إلى نتائج قانون الميراث في القرآن وقانون الأوقاف والصدقات ...

ويصف القرآن في تفصيل دقيق ، الأنصبة والنسب التي توزع بمقتضاها التركة بين الورثة والمستحقين فأعطى لمن يرث من النساء بوجه عام — نصف ما يخص زملاءهن من الورثة المذكور .

وليس من الصعب أن نلمس مدى عدالة هذه القاعدة ، عندما تطبق على الملكية المنقولة (التي كانت الشكل البدائي للملكية في بلاد العرب) بيد أنه حينما تطبق على الملكية الزراعية ، أو رأس المال في الصناعة ، تكون النتائج وخيمة من الناحية الاقتصادية . فأوقاف الأمر الموزة وهباتها كانت سبباً في التدهور الأخلاق والخسارة الاقتصادية . ولزمن مضى كانت هناك حركة جامعة في مصر وبعض الأقطار الأخرى لوضع حد لها .

ومن السهل أن نفهم المصلح المسلم المخلص وتواسيه في المأزق الذي قد يجد نفسه واقعاً فيه ؛ فليس هو معاديا لمجرد سلطان التراث الاجتماعي الذي مضى عليه أكثر من ألف عام من الحكم المطلق ، بل هو معاد كذلك للمعارضة الطبيعية للرجل العادي ، في التنازل عما يتمتع به من امتيازات . ثم إن عليه — بعد ذلك — أن يواجه الحقيقة ، وهي أن هذه التقاليد والعادات الاجتماعية في حاجة إلى أن تغذيها نصوص واضحة مباشرة من القرآن . وهذه الصعوبة ليس لها نفس الأهمية عند غير المتدين ، على الرغم من أن المدنيين من غير رجال الدين يلقون نصيباً في منعهم الجدل الديني ، لدرجة أن الإنسان لا يستطيع أن يتأكد دائماً من أن كتاباً أو مقالة عن « المسألة النسائية » في الإسلام ، هي من وضع عالم دنيوي أو مصلح حديث !

وليس من شك في أن الأمثلة على الجدل الدنيوي يمكن أن نجدها في الأدب التركي الحديث ، وفي الأدب الهندي أيضاً ؛ ولكن الشك في مدى ما تظهره هذه الأمثلة من رأى إسلامي عام — إلا في تركيا . وإنه لعلى جانب كبير من الأهمية هنا أن ننظر في بعض السبل التي اتبعها المصلحون المسلمون لمواجهة المشكلات .

ففي قصيدة من أشهر القصائد التي نقلها إقبال نادى الشاعر الاجتماعي التركي ، زياجوك ألب (المتوفى سنة ١٩٢٤) بوجوب الاعتراف بالمساواة الشرعية للنساء :

هنالك المرأة ؛ أمي ، وأختي ، وابنتي .

إنها هي التي تناجي العواطف المقدسة من أعماق نفسي .

(*) عطفا على ما نشر بالعدد ٧٩٣ من الرسالة الغراء .

(المترجم)

(١) حذفت مناقشات الاقتراحات الخاصة بإصلاح المحاكم الشرعية .

هنالك محبوبتى ؛ شمسى وقمرى ونجمى .

إنها هى التى تملمنى كيف أفهم شعر الحياة !

كيف استطاع القانون السماوى أن يحط من قدر هذه المخلوقات الجميلة ؟

لعمرى إن المتعلمين قد أخطأوا فى تفسير القرآن :

أساس الأمة والدولة هو الأسرة .

وما دامت المرأة من غير اعتبار تبقى حياة الأمة ناقصة غير كاملة .

إن الأسرة يجب أن ترعاها العدالة .

لذلك كانت المساواة ضرورية فى ثلاثة ؛ فى الطلاق والانفصال وفى الوراثة !

وما دامت المرأة معدودة نصف الرجل فى الميراث ،

وربع الرجل فى الزواج ، فما أبعد الأسرة والأمة عن الرق والعلا ... !

* * *

على أن زياجوك ألب لم يقنع باحتجاجاته الشعرية ، فقد أخذ على عاتقه — كاجتماعى — أن يستنبط مبادىء تفسير القانون ، من جديد . ولهذا الغرض نجده قد ميز بين العوامل « الآلهية » والعوامل « الاجتماعية » فى الشريعة . فالعوامل « الاجتماعية » فى رأيه ، لم تكن مؤسسة على نصوص واضحة ، بل كان أساسها « العرف » . وهذه الكلمة — التى تعنى القانون التقليدى فى عرف العلماء — عرفها هو بأنها « القرارات القيمة للناس أو الجماعة . وعلى ذلك فقد كان القانون الشخصى عرضة للتعديل ، بأية وسيلة يطالب بها « الرأى الجمى » أو « الشعور الوطنى » . وعلى كل حال فمن الواضح أن هذه المحاولة لبسط الاختلافات ذاتية خالصة ، وأن وضع القانون التقليدى على قدم المساواة مع القانون السائر — ولو اعتبر خلاصة للتجارب التاريخية — يتعارض مع أسس الفكر الإسلامى(١) .

ولست أعرف فى أية كتابات المجددين العرب الذين نقلت عنهم ، أسلوبا مشابها لهذا فى المناقشة .

ولقد ألح ممثلو الحركة النسائية العربية القديمة ، فى القضاء على نواحى الضعف الاجتماعية — أكثر من القانونية . وكان الشاعر العراقى : جميل صدقى الزهاوى ، أحد الأبطال الأوائل الذين نقدوا عزلة النساء الاجتماعية ، وصرحوا مراراً وتكراراً بميول أعظم نبلاً نحوهن قال ما ترجمته :

إن المرأة والرجل سواسية فى الجدارة .

فعلموا المرأة ، لأن المرأة عنوان الحضارة !

وأعظم القصائد انتشاراً قصيدته : « السفور » :

إخلعى الحجاب يا ابنة العرب ! لأن الحجاب داء يفتك بالمجتمع .

كل شىء يسمو إلى التجديد ، فلماذا تظل هذه الأعجوبة جامدة !

لم يناد نبى بالحجاب بشكله هذا ، لا ، ولا فاهت به أية حكمة !

إنه جدير باللوم فى نظر القانون السماوى والطبيعة ، والذوق والعقل والضمير !

لقد ادعوا أن فى الحجاب وقاية ، بل كذبوا لأنه فى الحق يجلب العار !

لقد ادعوا أن التبرج مخل بالآداب ، بل كذبوا لأنه أفضل طهر ووقار !

ليس الحجاب هو الذى يرعى شرف الفتاة .

إنما تحرسها تربيتها ومشاركتها فى الثقافة !

فهذبوا عقول العذارى ، حتى تظل أجساد العذارى فى مأمن من الشرور والآثام(١) !

ومهما يكن من شىء ، فإن الزهاوى لم يفعل أكثر من

---

(١) ذهب العلماء إلى حد القول بأن هذا العرف يهتم به إذا لم يكن مخالفا لنص أو إشارة من القرآن أو السنة النبوية . وتوجد مناقشة شبيهة بمناقشة زياجوك هذه — على نطاق واسع — قدمها : جلال نورى بك ، فى « اتحاد الإسلام » (استنبول ١٩١٣) والترجمة العربية : القاهرة ١٩٢٠ ، ص ٤٢ وما بعدها .

وتجد الرأى الأزهرى فى نور الإسلام : س١ ص ٥٣٤ — ٤٠ .

(١) اللباب : ٢٣٥، ٢٣٦ widmer ,op Cit , p . p . 44 - 45

(المترجم)

اضطررنا فى نقل هذا النظم إلى « ترجمة الترجمة » بدلا من النص العربى الأصلى ؛ إذ لم نحصل على ديوان اللباب الذى ذكره الأستاذ المؤلف . والموجود منه فى دار الكتب المصرية الجزء الأول فقط (١٩٠٨) وكان فى المعارة ! ومن الطريف أن الزهاوى — مع دعوته للسفور وحملته على الحجاب — لم يأذن لزوجته أن تسفر .

راجع مقال الأستاذ رفائيل بطى عن « المرأة فى شعر الزهاوى » ، بالهلال عدد مارس سنة ١٩٤٧ .

التلميح والإشارة إلى قوانين الزواج والطلاق . وأعظم من ذلك . الكاتب الاجتماعي التونسي طاهر الحداد الذي نشر في عام ١٩٣٠ كتاباً عن « نساؤنا في الشرع وفي المجتمع » . وقد ذكر فيه أن قوانين القرآن وأصول التشريع الإسلامي لا ينبغي أن تعتبر نهائية ، وثابتة لا تتغير ، بل يجب أن ينظر إليها بعين التطور . ورأى أن روح الحضارة الإسلامية تتطلب عمليات مستمرة من هضم مميزاتها الخاصة للرقي الحضاري .

كما أن الأدب العربي الحديث في مصر — في تصويره وتحليله المشكلات الاجتماعية — قد دخل فيه نقد مفهوم ضمناً للعقبات القانونية التي تقف في سبيل المساواة التامة للنساء . وكان من بين الاقتراحات الأولى التي حيرت وزارة الشئون الاجتماعية الجديدة — التي أنشئت في مصر عام ١٩٤٩ — تقييد تعدد الزوجات ، وتحديد حالات الطلاق . ولكن على الرغم من أن الحلول التي وضعتها الوزارة لم تشتمل على أكثر من جزء معقول من الإصلاحات التي يرغب فيها الرأي العام المثقف ؛ فإنها قد تسببت في ظهور شكوى ممثلي الرأي العام في الأزهر ، من أنها كانت تناقض الشريعة ، وأن الأجدر بالوزارة أن تنتبه إلى سباق الخيل والميسر وسائر المساوىء الاجتماعية الأخرى التي نهى عنها القرآن والسنة .

إن المجدد الحقيقي لا يمكنه أن يتخلص من مأزقه ، بتشتيته الشمل بسهولة ؛ إذ أن القرآن ينبغي أن يكون حقيقياً ونهائياً . ومع ذلك فليس من السهل أن نشعر بوجود شيء من الخطأ في السلوك الاجتماعي السائد بين المسلمين . ثم إن مما يجرح شعوره كمسلم ، أو يخدش كرامته كرجل ، أن يرى أن الشيء الوحيد الذي يعرفه رجل الغرب العادي عن الإسلام ، هو أن المسلم قد يكون له أربع زوجات ! ويزيد آلامه استفادة إرساليات التبشير من مشكلاته . فليس لديه سوى مخرج واحد ؛ فإن المثل العليا في الإسلام لا تقع في أي طريق من المستويات العليا ، وعلى ذلك فلا بد أن علماء القرون الوسطى قد حادوا عن الروح الحقيقية للقرآن والإسلام .

وهذه الأخطاء يجب أن يقتفي آثارها إلى منابعها ، ويشك فيها . وعندما تصبح واضحة فإن تعاليم القرآن والسنة ، ستظهر عدالة هذه القواعد تجاه الرجال والنساء . وستعنى هذه التعاليم — قبل كل شيء — باتجاهات العامة ، وتحدد ما يجب أن يكون عليه روح التفكير في القانون وتنفيذه . وهذه الروح — فيما يتعلق بالنساء — لا يمكن أن تكون سوى جزء من المواساة الإنسانية ، واحترام الشخصية ، واجتهاد لدفع المساوىء التي خلقتها طبيعة المجتمع القاسية الفاشية .

وبعد فهم هذا الاتجاه ومعرفة قيمته وهضمه تماماً ، فإن التشريع القرآني سيفهم على وجهه الصحيح . ويرى المجدد أنه عندما يحدث كل هذا ، فإن موقف المسلمين تجاه المرأة ، ونظرتهم إلى شخصيتهم ومركزهم الاجتماعي ، والتشريعات الخاصة بحمايتهم ، كل هذه ستكون أعظم وأكثر سماحة في نوعها ، بل إنها تفوق مثيلاتها في سائر الأديان .

إذن فهذا هو العمل أمام المجدد . ويجب أن نكرر القول بأن أول أعمال المجدد المعارض هو إعادة مجد العقيدة في الإسلام ، بين المسلمين الجاحدين ؛ وذلك بإثبات أبهى محاسن دينهم بجلاء . ثم إقناع المسلمين المتأخرين (الطراز القديم) بأنهم بمحافظتهم الاجتماعية ، وتمسكهم بنصوص القانون الحرفية ، إنما يطفئون النور ! وإلى جانب ذلك لا يستطيع المجدد أن يقاوم الفرصة للقضاء على الابتسام الكاذب في وجه المبشر ، بمهاجمة التقاليد الجنسية في المسيحية ، واختيار أمثلة مؤلمة التاريخ والدستور الاجتماعي للعالم المسيحي . وعلى ذلك ففي مناقشة المسائل الدينية قلما يختلف المعارضون والمخالفون . وليس عجيباً أن المسلمين الذين يعرفون الغرب عن طريق الحياة في المدن الكبرى ، والأفلام والقصص والمجلات ؛ إن هؤلاء المسلمين ينظرون بازدراء إلى المستويات والتقاليد الجنسية في المجتمع الغربي .

(يتبع) **محمد محمد علي**

(الرسالة) نلاحظ على المترجم الفاضل أنه يؤثر الترجمة الحرفية ، ولا يستعمل المصطلحات الفقهية ، لذلك يغلب على أسلوب ترجمته الضعف ، وعلى معانيها الغموض .

من صميم القلب :

لك الله أيها العربي ! ...

للاستاذ صبحي ابراهيم الصالح

لك الله أيها العربي ! كم ثارت في وجهك الشدائد فصمدت لها في بطولة ، واعترضت طريقك العقبات فذللتها برجولة ! وكم أتى الدهر بنيانك من القواعد فاستأنفت البناء ، وداهمت حياتك النائبات فصبرت على القضاء !

لك الله ما أفقر دنياك وأغنى قناعتك ، وما أقسى عيشك وأسمى غايتك ، وما أبخل زمانك وأسخى راحتك !

أنت للفقر تدافعه ، وللبؤس تصارعه !

أنت للضعف تغالبه ، وللذل تحاربه !

أنت للعدو تجاهده ، وللدهر تعانده !

أنت لوزرائك تديبهم على التكاسل ، ولزعمائك تحاسبهم على التخاذل ، ولعلمائك تشكو ما هم فيه من تجاهل !

أنت لأغنيائك تألم من بخلهم ، ولفقرائك تبكي على ذلهم ، ولنفسك تتوجع على ما أصابها من حرمان ، وما تجرعت من كؤوس الهوان !

بل أنت للمصائب كلها ، وللخطوب جميعها ... فما أعظم ما نلقاه ، وما أقل حظك في الحياة !

***

كأني بفتن الدنيا تبحث عن محتمل لها فلا تظاهر إلا عليك ، وبمحن الزمان تنشد صابراً عليها فلا تتداعى إلا إليك ، فإذا عسف القوي يلقى الأشواك في دربك ، وإذا ضعفك الموروث يدفن الاستغاثة في قلبك !

فلك الله من شاك كظيم لا يجد سميعاً !

ولك الله من مجاهد عظيم لا يلقى تشجيعاً !

***

أين رجالك الذين وعدوك الكرامة فأذلوك ، وزعماؤك الذين لبسوا مسوح الرهبان فأضلوك ، وأغنياؤك الذين شربوا دمك ثم استأكلوك ، وعلماؤك الذين اتخذوا آلهتهم هواهم ثم أهملوك ؟

أين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ليقاتلُن صفاً كالبنيان المرصوص أو يحرروا فلسطين ، ولينهض نهضة واحدة للغاصبين الغادرين ، وليماقبن بالطرد أنذال الشعوب ، جراثيم الفساد ، لصوص العالمين ؟

أين الذين أشعلوا بنارهم حماستنا ثم أطفأوها بمائهم ، وفتحوا بهتافهم عيوننا ثم أطبقوها برقادهم ، وما زالوا يعالجوننا بالعاطفة ونحن إلى العقل أحوج ، ويأخذوننا بالارتجال ونحن نروم النظام ، ويرقدوننا بالمسكنات ونحن نلتمس الشفاء !

***

إن هؤلاء سواء عليهم أدللتهم أم لم تدلهم لا يكترثون ، وسواء عليهم أذكرتهم بتقصيرهم أم لم تذكرهم لا يأبهون ، وسواء عليهم أصرخت لهم أم عرضت بهم لا يبالون .

ولو أنك أكثرت الصراخ المختنق ، ومزقت الصدر الحرج ، وقطعت الحنجرة المكروبة ، وأطلقت الحشرجة المكبوتة ، فلن تسمع منهم إلا ألسنة بليلة ، وأصواتاً ندية ، ربما أرضت البيان الرفيع ، ولكنها لا ترضى الحق الصريح !

ولكن ... هون على نفسك ، فلا تربض باليأس قلبك ، ولا تعصر بالقنوط فؤادك ، بل اصرخ أيها العربي في النفوس الراقدة علها تفيق ، وفي الأرواح الهامدة علها تتحرك ، وفي الضمائر الميتة علها تحيا ، وفي المشاعر الساكتة علها تنطق ، فقد اقتربت النار وقضي الأمر ، وقد داهمك اللصوص بالخيانة والغدر ، وقد سرقوا متاعك بالخداع وبالمكر . على أنك إذا وثبت وثبك ، وأطمت قلبك ، أطفأت النار قبل أن تلتهم الديار ، ولحقت باللصوص الجبناء قبل أن يولوا الأدبار ، واسترجعت متاعك قبل أن يتواروا عن الأبصار !

***

وإني لأحذرك أيها العربي قوماً كالثعالب ، أنت تعرفهم بلحنهم الكاذب ، فقد لدغت من جحرهم مرات « والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين » ولقيت من مكرهم ويلات ، والمكر

الفتوة عنـــــد الصوفيين

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أما المنزلة الثالثة فهى تختص بما يكون من الفتى نحو خالقه ، وهذه المنزلة تشتمل على أمور ثلاثة :

أما الأمر الأول : فهو أن الفتى يجب ألا يتعلق فى السير للوصول إلى الحضرة الربانية بدليل ، فالسائر فى طريق الوصول إلى هذا المقصد يسير على قدم اليقين ويستدل فى طريقه بالبصيرة والمشاهدة ، ويسترشد بما تقع عليه عينه من آيات باهرة تدل على قدرة الله وكمال ذاته ، فاسترشاده بغير هذا وسيره مع الدليل آية على عدم نفاذ بصيرته وسلامتها ، ودليل على أنه لم يخلص فى طلبه ولم يشتم رائحة اليقين ؛ وفى هذا قال بعضهم (من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال لم تحل له دعوة الفتوة أبداً) . والمعرفة عندهم ضرورية لا استدلالية ، لأن الرسل عليهم السلام لما أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى عباده ، دعوهم إلى عبادته وتوحيد ذاته ولم يدعوهم إلى الإقرار بالله سبحانه ، بل دعوهم دعوة من لا يشك فى وجود القدرة الإلهية ، وأن الله هو الصانع الحكيم ، وخاطبوهم خطاب من ليس عنده أدنى شبهة فى الإقرار به ، وأن وجوده ليس فى حاجة إلى الاستدلال عليه ، ولا مرشد للسير فى طريق الوصول إليه ، فخاطبوهم قائلين :(أفى الله شك فاطر السموات والأرض؟)

وكيف يدعى الفتوة من يطلب الاستدلال على من هو أظهر من دليله بل هو الدليل والمدلول ؟ فالقاصد له من نوره ودلائل قدرته وآثار حكمته أكبر دليل ، ومن خلص قلبه وكمل إيمانه وتفتحت بصيرته وضح أمامه الطريق وظهرت له معالم الشهود فيرى المشهود بغير دليل ، ولا ينال هذه المرتبة إلا من أفنى نفسه فى ذات مشهوده وترك ما سواه ؛ وهذا هو معنى الأثر الإلهى (إذا أحببت عبدى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، فبى يسمع وبى يبصر) .

أما توقف طالب الوصول وتقيده بالدليل الذى يهديه الطريق ، دليل على الشك فى إخلاصه . ومن يطلب الاستدلال على الوحدانية والمعرفة وكل آثاره جل علاه دلائل قائمة على وجوده ووحدانيته ومشيئته وقدرته — فليس له أدنى درجة من الفتوة بل يكون مخالفا لها من كل أوجهها .

سئل أحدهم عن ذلك فقال : لو أن رجلا بعث لك رسولا يدعوك إلى داره فقلت للرسول : لا أقوم معك حتى تقيم الدليل على وجود من بعثك ، وأنه مطاع فى أهله وأنه أهل لأن يقصد

لا يخفى على ذى عينين ...

حذار من أولئك الثعالب لا تبذل لهم مقادتك ، فإنهم لا أيمان لهم ، ولا عهود عندهم ، ولا مواثيق لديهم « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » .

فثق بنفسك ، وتوكل على ربك ، واستعن بإخوانك العرب فى مصر التى تُعلِّم سهولها الكرامة ، وفى سوريا التى تلقى بطاحها دروس الشهامة ، وفى لبنان الذى تعود جباله الشم على الصبر ، وفى الحجاز الذى يهدى صعيده الطيب إلى الطهر ، وفى العراق التى تلهم واحاتها الشجاعة ، وفى الأردن الذى توحى وديانه البسالة ، وفى اليمن التى تحبب رياضها بالإيمان ، وفى الجزائر التى تزين رمالها الكفاح ، وفى كل قطر عربى لا ينام من حقه ، ولا يفقد ثقته بنفسه ، ولا يزيد — إذا ما بهرته الشدائد ، وعصفت به الأهوال — على أن يهتف بملء صوته ، ومن أعماق قلبه ، هتاف فخر العرب وسيد الخلق محمد بن عبد الله صلوات الله عليه يوم قال لعمه أبى طالب : « والله يا عم ! لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

فلتأسُ جراحك بهذه الكلمة النبوية الطاهرة فإنها خير بلسم ؛ ولتمسح بها الدموع عن وجنتيك ولا تضرب بكفك ولا تلطم . ثم إذا بقى الدهر يعاندك ، وظل العدو يجالدك ، فلك الله أيها العربى وهو خير الناصرين .

(طرابلس الشام) صبحى ابراهيم الصالح

ويغشى بابه ، لكنت في الفتوة دعيا) فكيف تطلب الدليل على من وجوده ووحدانيته وقدرته وربوبيته أظهر من كل دليل تطلبه ، وأقوى من كل برهان تستدل به ، فما من دليل يطلب للاستدلال عليه إلا ووحدانيته وكماله وعفوه وإحسانه أظهر من كل دليل . فأبعد الناس عن الفتوة من طلب الدليل على من هو دليل على نفسه .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

فالسالك الصادق صاحب اليقين الذي وهبه الله نور البصيرة وكشف له عن جوهر الحقيقة لا يحتاج إلى دليل ، لأن تقيده بالدليل يفرق عزمة قلبه ، وهذا انقطاع وخروج عن الفتوة ، وفي هذا قالوا : إن الدليل يفرق والمدلول يجمع ، فالسالك يقصد الجمعية على المدلول ، فماله ولتفرقة الدليل . وشبهوا المتقيد في سلوكه بالدليل بالمتكلم الذي يفنى حياته بحثاً في الزمان والمكان والجوهر والأعراض ، ويقصر همه على هذه الأشياء لا يتجاوزها للوصول منها إلى خالق الكون وعبوديته وتقرير وحدانيته بمقتضى أسمائه وصفاته ، لا يشتغل قلبه بسواه ولا يطلب دليلا على من هو أقوى دليل ، قال الحلاج : (إن المتكلم مستغرق في معرفة حقيقة الزمان والمكان ، والعارف قد ضنّ بالزمان أن يذهب ضائعاً في غير السير إلى رب الزمان والمكان) .

والأمر الثاني : أن تكون وجهة الفتى صادقة ، وإجابته لداعي الحق خالصة ، لايشوب محبته بعوض ، ولا يطلب من الحظوظ غير الاستغراق في محبة معبوده والفناء في ذاته ؛ فإن فعل ذلك فقد نال كل حظ وفاز بكل عوض كما في الأثر الإلهي :

(ابن آدم ! اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء . أنا أحب إليك من كل شيء) .

فالفتى من يعبد ربه حق العبودية لا يطلب منه أجراً على إخلاصه ، فإذا طلب العبد من سيده أجراً على قيامه بخدمته له سقط من عين سيده وصار عنده أحمق يستوجب العقوبة ؛ إذ أن عبوديته تقتضي خدمته ، والذي يخدم بالأجر لا عبودية للمخدوم عليه ، ولا مكان لسيده عنده ؛ وهذا إما أن يكون حراً سيده نفسه أو مملوكا لسواه .

والخلق جميعاً عبيد الله وملكه المتصرف فيه ، فهم يخدمونه بحق عبوديته لهم وملكيته إياهم ، فطلبهم للأجر خروج عن محض العبودية وخلاف لناموس الخضوع ؛ فالعبد الذي لايشوب خدمته بطلب العوض هو المقرب من مولاه الأثير عنده .

سئل أحدهم عن معنى هذا فقال : (إذا كان لك من العبيد أربعة ، أولهم لا يريدك ولا يريد منك ، بل قلبه متعلق ببعض عبيدك فله يريد ومنه يريد ، والثاني يريد منك ولا يريدك ، فهذا إرادته مقصورة على نيل حظوظه منك ، والثالث يريدك ويريد منك ، فهذا يخدمك ويتقرب إليك لنيل ما يبغي فإرادته لك وسيلة . والرابع يريدك ولا يريد منك ، فإرادته مقصورة عليك وعلى مرضاتك ، فهو لا شك آثر الجميع عندك وأقربهم منزلة منك وأحبهم إلى قلبك والمخصوص من إكرامك وعطاياك) .

ويظهر إخلاص العبد لسيده في القيام بواجب الشكر على ما أولاه من نعم ووهبه من عطايا ؛ لأن حقيقة الشكر عبادة والشكر والشكر مبنى على قواعد خمس .

خضوع الشاكر للمشكور ، والفناء في حبه ، والاعتراف بنعمه ظاهرها وباطنها والثناء عليه بهذه النعم — أي الإحسان منها إلى عباده وإنفاقها في أوجه الخير ، وهذا هو الثناء بالنعم على النعم — وألا يستعملها العبد فيما يكره سيده ، والاعتراف بأن هذه النعم قد تفضل بها السيد على عبده وهو ليس أهلا لها .

قال الجنيد : (الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة) ومن أنواع الشكر أن يفني العبد نفسه في ذات المنعم عن رؤية النعمة فلا تحجبه رؤيتها عن مشاهد المتفضل عليه والمنعم بها . قال الشبلي : (الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) .

والشكر درجتان : شكر العامة ويكون على المأكل والمشرب والملبس وقوة الأبدان وأعراض الدنيا ، وهذا ليس من الفتوة في شيء ؛ وشكر الخاصة ، ويكون على التوحيد والإيمان وقوة القلب وصفاء النفس . ومعنى هذا أن يكون بالقلب خضوعاً واستكانة ، وباللسان اعترافاً وثناء ، وبالجوارح طاعة وانقيادا ، وهذا من خصائص الفتوة ، وكلما ازداد العبد شكراً ازداد المنعم عليه تفضلا ومنه تقريباً ؛ في الأثر الإلهي : (أهل شكري أهل زيادتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي) ويزيد بعضهم نوعاً ثالثا من الشكر وهو أن يكون على ابتلاء الله الذي ينزله بعبده ، فيعتبرون

هذا البلاء نعمة يذكرهم الله بها فهم دائماً فى حضرته .

سأل رجل جعفر الصادق رضى الله عنه عن الفتوة ، فقال له ما تقول أنت ؟ فقال الرجل إن أعطيت شكرت وإن منعت صبرت فقال جعفر : الكلاب عندنا كذلك . فقال له السائل : يا ابن رسول الله فما الفتوة عندكم ؟ قال له : ان أعطينا آثرنا ، وإن منعنا أو ابتلينا صبرنا) وقال آخر : (الفتوة هي إظهار النعمة وإسرار المحنة) .

أما الأمر الثالث من هذه المنزلة : فهو إعراض الفتى عن نفسه وعدم انشغاله بها ، وإهماله مطالبها ، وإذلالها فى سبيل الوصول إلى مقصوده الأسمى وغرضه الأعلى وأن يتهمها دائماً بالتقصير وبأنها العائق فى طريق وصوله ، فيخاصمها فى الله فيكون كما قال محمد بن على الترمذى : (أن تكون خصما لربك على نفسك) فيضعها دائماً موضع التهم ليطامن من كبريائها ويحطم هذا الصنم الذى بينه وبين ربه ليصفو قلبه ولا ينشغل بسوى حبه والفناء فى حضرته . قال الجنيد : (الفتوة كسر الصنم الذى بينك وبين الله تعالى ، وهو نفسك) كما قال عمرو بن عثمان المكى (حرون خداعة رواغة فاحذرها وسقها بتهديد وخوف يتم لك ما تريد) .

وقد حكى الله سبحانه وتعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه كسر الأصنام لله إذ جعلهم جذاذا ، فالفتى من كسر صنما واحداً فى الله . وقد قيل (الفتوة ألا تكون خصما لأحد) وذلك فيما يتعلق بحقوق العباد ، أما فى حقوق الله وابتغاء مرضاته ، فالفتوة أن تكون خصما لكل ما سواه وإن كان الحبيب المصافى ، فالسائر إلى المحبوب لا يقف مع حظوظ النفس ، بل يفنى ذاته فى ذات من أحب لأن طريق السالكين والفتوة السائرين على دروب الفناء ، الخروج عن نفوسهم فضلا عن حظوظها ، لأن الفتوة ، العمل على أن يكون الفتى بالله لا بنفسه ، والرضى بأحكامه شاءته أم سرته . والخروج عن النفس ، هو حبسها على مراد الله وبذلها فى إقامة دينه وتنفيذه بين أهل المعارضة والبغى والعناد ، يصيح فيهم بالنصائح جهاراً لا تأخذه فى جهادهم فى الله لومة لائم ؛ وهذا تعذيب للنفس فى حب الله وإفنائها فى ذاته ، وهذا عند الفتى الصادق أعظم العيش وأوفر الحظ .

ولو ذهبنا نتقصى أقوال القوم فى الفتوة ونحللها لطال المقام وتشعب بنا الأمر فنكتفى بهذا القدر . ونسأل الله التوفيق ، وللأستاذ ضياء الدخيلى من الله حسن الجزاء ومنا وافر الشكر .

(أسيوط) عبد الموجود عبد الحافظ

مراجعه .
١ — الأعلام الذين ذكروا فى هذا المقال سنفرد لكل منهم بإذن الله بحثاً خاصاً به .
٢ — المراجع التى استقينا منها هذا المقال .
١ — مدارج السالكين .
٢ — الرعاية لحقوق الله .
٣ — مكارم الأخلاق .
٤ — التعرف لمذهب أهل التصوف .
٥ — صيد الخاطر .
٦ — المواقف .
٧ — التصوف الاسلامى .

شعوب القوقاز

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

(مهداة إلى الأستاذ محمد أسامه علية تعقيباً على ما نشره في العدد ٧٨٤ ص ٧٩٧ من الرسالة الغراء)

سيدي الأستاذ : قرأت — وأنا على أهبة السفر إلى الإسكندرية في طريقي إلى دمشق ، ما كتبته تحت عنوان : « نصوص تاريخية في الرد على تعقيب » فلم يكن في الوقت متسع ، ولا في البال فراغ ، فلم أستطع الكتابة يومئذ ، ثم تلاحقت المشاغل ، وتواردت الموانع ، واتصلت حتى استطعت أخيراً أن أختلس بعض الفراغ لأبعث إليكم بهذه الملاحظات التي أرجو أن تلقى لديكم بعض العناية والرعاية والصدر الرحب .

إنكم نقلتم عن تاريخ الجراكسة للأستاذ محمد بك فكرى ما نقله عن المؤرخ الفرنسي « س لامار » من أن الكرج ، والجركس ، واللازكى والحجبي فروع أصل واحد ، ثم نقلتم عنه أيضاً قوله : دلت التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والكرج ينتميان إلى (جد) مشترك .

وأحب أن أوجه نظركم الكريم إلى أن موضع النزاع بيني وبينكم — إن كان هناك نزاع — هو أن يكون الكرج ، والجركس ، واللازكى ، والحجب شعباً واحداً ، لا أن يكونوا (فروع) أصل واحد ، أو منتمين إلى (جد) مشترك ! كيف ونحن — معشر المؤمنين بوحي السماء — ما زلنا نعتقد أن الشعوب كلها تنتمي إلى جد مشترك ؟ أما من هو هذا الجد المشترك ، أو الأصل الذي تفرعت عنه هذه الفروع وفي أي عصر كان ؟ فهذا ما لا أحب أن أعلق عليه أو ألقي إليه بالاً ! . ويبدو لي أنك شعرت بينك وبين نفسك أن ما نقلته عن « س لامار » لا يجدي عليك في دعواك فتيلا ، ولا يغني عنك شيئاً ، فنقلت ما جاء في كتاب الجراكسة لمحمد بك فكرى (حـ ١ ص ٦): « أن لفظ الجركس عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقازية ، فيكون الجركس يؤدي مؤدى القوقاس » فمن أين للأستاذ محمد بك فكرى هذا ، وما سنده من التاريخ القديم ؟ .

وكيف استبحتم نقل مثل هذه الدعوى الخيالية من أي سند في معرض التدليل ؟ .

وهل هذه إلا المصادرة المعروفة عند الجدليين ؟ ! .

على أن من الطريف أن محمد بك فكرى ادعى في تاريخ الجراكسة (حـ ١ ص ٦) « أن لفظ الجركس عنوان عام يشمل القبائل الأصلية القوقازية » ثم رتب على هذه الدعوى هذه النتيجة : « فيكون الجركس يؤدي مؤدى القوقاس » . قبل أن يدلل عليها ، ثم نقل في (حـ ١ ص ١٢) عن « س لامار » أن الكرج ، والجركس ، واللازكى ، والحجب ، (فروع) أصل واحد ، وفي (حـ ١ ص ٢٢) قال : « دلت التدقيقات العلمية والتاريخية على أن الجركس والكرج ينتميان إلى جد مشترك »

فهل هذا الذي نقله في (حـ ١ ص ١٢ ، و حـ ١ ص ٢٢) يتفق مع ما ادعاه وقرره في (حـ ١ ص ٦) ؟ .

ويظهر أنكم شعرتم باضطراب موقف صاحب تاريخ الجراكسة ، فغيرتم ترتيبه ، فنقلتم ما كتبه في (حـ ١ ص ١٢ ، و حـ ١ ص ٢٢) أولاً ، ثم نقلتم ما كتبه في (حـ ١ ص ٦) أخيراً . ولكن هل هذا التقديم ، وذلك التأخير غيرا من أصل الموضوع شيئاً ؟ . والظاهر أنك شعرت بهذا الاضطراب في نصوص كتاب تاريخ الجراكسة وأنها لا تؤدي إلى ما قصدت فأوردت أسطورة — وإن شئت سمها أحجية — « أركس ، وآس ، وتركس ، وكسا » نقلا عن « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » للبدر العيني .

ولهذه الأسطورة عندي تاريخ قديم ، وحديث عجيب ، ما كنت أحب أن أعرض له لولا أنكم أوردتموها واثقين بها معتمدين عليها ، فرحين بها ، مغتبطين لها ، فقد حدثني بها من عهد بعيد أستاذ جليل القدر ، كريم المنزلة ، أعزه وأحترمه وأحفظ له في نفسي تقديراً واحتراماً ، وإكباراً وإجلالا ، ولا حاجة الآن إلى ذكر اسمه الكريم ، وإن كنت أعتقد أنه هو الذي أخبركم بأسطورة البدر العيني أيضاً . فصارحته برأيي في قيمة هذه الرواية التي لم يعرفها أحد قبل عصر البدر العيني ، والتي لم تظهر إلا في ظل سلطان المماليك وفي مقر دولتهم ، ومركز عزهم في مصر ، وأذكر أني قلت له يومئذ : إنها أشبه

بأسطورة أو أحجية من الأحاجي وضمت وضماً لإرضاء السلطان وتزلفاً إلى أصحاب النفوذ . وإلا فكيف لم يطلع على هذه الرواية — إن كان لها أصل — أحد من المؤرخين قبل البدر العيني ، وخفيت عليهم جميعاً حتى أوحى بها إلى البدر العيني في الزمن الأخير في عهد دولة المماليك — وجلهم أو كلهم من الجراكسة المنتشرين في القوقاز الشمالي الغربي — وسلطانهم المبسوط على مصر والشرق ؟ (١)

كان هذا رأيي في رواية البدر العيني هذه من عدة أعوام ، وأن الأيام لم تزدني إلا إيماناً ، واستمساكاً بهذا الرأي . فهي رواية ولدت وترعرعت في ظل حكم المماليك الجراكسة من غير أن يكون لها سند من تاريخ ، أو مرجع تعتمد عليه .

ومن هذا القبيل ما شاع في كتب بعض المؤرخين الذين عاشوا في عهد المماليك واتصلوا بهم مثل ابن خلدون (٢) من إطلاقهم اسم جبال الشركس على جبال القوقاز أو تسميتهم شعوب القوقاز جميعاً شراكسة فإنه اصطلاح طارئ حديث نشأ في ظل سلطان المماليك الشراكسة ، وانتشر في عهدهم .

وفي ظني أن هذه الرواية التي أوردها البدر العيني ، وهذا الاصطلاح على تعميم اسم الجركس على جميع القوقازيين ما هو إلا من قبيل التقرب إلى السلطان الجركسي والتزلف إليه ، لأن معظم هؤلاء المماليك — أو كلهم — كان من أتى بهم من سواحل البحر الأسود حيث مساكن قبائل الجراكسة . ومن هذا القبيل أيضاً تلك الدعوى الطويلة العريضة التي كانت تزعم أن الجراكسة من قريش !. وألفت في يوم من الأيام لاثباتها الرسائل ؟!

على أن البدر العيني — حسب رواية الأستاذ — يبدأ كلامه بدءاً غير موفق إذ يقول : ومن الترك الجركس الخ . فهل يسلم الأستاذ مع البدر العيني أن الجركس من قبائل الترك ؟ ثم إنك — يا سيدي الأستاذ — بعد أن تفرغ من رواية أسطورة البدر العيني وشرحها وتوجيهها كما تشتهي قلت :

« واتبع البدر العيني المصطلح القديم ، وهو إطلاق الجركس على القبائل الأربع التي في جوانب جبل القوقاز » .

فأي مصطلح قديم هذا الذي تشير إليه ؟ ومن الذي ذكره وقال به قبل البدر العيني ؟ .

وأما تفسير كلمة « جركس » وادعاء أن أصلها الكريم جهاركس . ومعناها في لغة الفرس الرجال الأربعة فإنه لا يهمنا في الموضوع الذي نحن بصدده قليلا أو كثيراً ؛ لأن هذه الدعوى وهذا التخريج مهما قيل فيهما لا يزيدان ولا يرجحان على محاولة سابقة لشرحه كلمة « الجركس » فقد زعم زاعمون من قبل أن أصلها مركب من كلمتي « جرا » ، « كسا » وأن المرحوم « كسا » كان من أشراف قريش ، فجنى جناية وهرب إلى القوقاز ، وأقام بها ، وعلى هذا يكون أصل الجراكسة من قريش !.

هذا تعليق حاولت أن أجمله وجيزاً جهد الطاقة على ما دعوته نصوصاً تاريخية ، وما هي من التاريخ في شئ .

وبعد هذا أضع بين يديكم بعض الأسماء التي كانت معروفة في التاريخ القديم لسكان جبل القوقاز ، والتي أطلقها عليهم قدماء المؤرخين . وأبدأ ذلك بأن المؤرخين العرب الأقدمين كالمسعودي وغيره كانوا يسمون جبال القوقاز بلاد القبج أو جبال القبج لا جبال الجركس أو بلاد الجركس كما نص على ذلك المرحوم شيخ العروبة أحمد زكي باشا في قاموس الجغرافيا القديمة . هذا بالنسبة إلى منطقة القوقاز جملة .

وأما أسماء سكان البلاد تفصيلا ، فإن سكان الجهات الشرقية الشمالية من القوقاز — حيث مساكن الداغستان ، والحجب ، وشروان الآن — كانوا يسمون في بعض الكتب القديمة ألبانيين وكانت بلادهم تدعى ألبانيا . كما ذكر ذلك أيضاً المرحوم زكي باشا في كتابه السابق .

وإن اسم الحجب كان معروفاً قديماً ، وكان يطلق على الشعب الساكن في الشمال من بلاد الداغستان حيث مساكن الحجب إلى يومنا هذا .

كما أن اسم الأورا — وهم أسلاف اللوزكيين الحاليين من

---

(١) ولد البدر العيني في عينتاب سنة ٧٦٢ هـ وأقام في حلب ودمشق والقدس ومصر وكان من أخصاء الملك المؤيد ، وسمير الملك الأشرف وملازمه ، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ

(٢) ولد ابن خلدون سنة ٧٣٢ هـ وولي السلطان الظاهر برقوق وتولى قضاء المالكية بالقاهرة ثم توفي بالقاهرة فجأة في سنة ٨٠٨ هـ .

الداغستانيين — كان معروفاً حول القرن الرابع الميـلادى ، وقد أطلق على شعوب القوقاز الضاربين فى الجانب الشرقى للقوقاز أسماء مختلفة مثل الخزر ، قوميق ، آلان . وهذا الاسم الأخير يظهر لى أنه اسم اللزكيين القديم ، فهو يطلق فى الكتب القديمة على شعب مقيم فى مساكن اللزكيين الحاليين ، وأن ظن بعض الكتاب أنه اسم الأوسيت . ذلك أن الأوسيت معروفون باسم الأوسيت من قديم ، ويسكنون فى جهة تقع فى الشمال فى قلب منطقة الجبال على الشمال الغربى من مواقع اللزكيين .

هذا فى القسم الشرقى من القوقاز ، أما فى القسم الغربى منه فإن اسم الأديغـة كان معروفاً من قديم ، وما زال يطلق على سكان الجزء الشمالى الغربى من القوقاز ، ويمكن اعتباره اسماً جامعاً لشتات قبائل الجركس المنتشرة فى تلك الجهة مثل : أبهاسو ، الأوبنج ، الشبوغ ، الأزاخ ، القبرطاس ، الأبازة . مع ما بين قبيلة الأبازة وبين بقية قبائل الجركس من اختلاف فى اللغة يتعذر معه التفاهم بين هؤلاء وأولئك .

هـذه هى الأسماء التى كانت تطلق قديماً على سكان القوقاز الشمالى شرقيه وغربيه ، ثم ظهر فجأة اسم الجركس فى العصور المتأخرة ، وصار يطلق على بعض — وأحياناً على كل — القبائل الساكنة فى القوقاز الشمالى الغربى ، ثم انتشر هذا الاسم وصار يطلق — من غير تحقيق أو تدقيق — على جميع سكان القوقاز فى عصر المماليك كما فعل البدر العينى ، ومال إليه ابن خلدون ، ثم شاع هذا الاستعمال فى الشرق الأدنى فى فترة أخرى من التاريخ على أثر تلك الهجرة الواسعة النطاق التى قام بها الجركس إلى الممالك العثمانية على أثر تغلب الروس عليهم واحتلالهم لبلادهم

ولكن هذا كله لا يجعل هذا الإطلاق صحيحاً أو دقيقاً ، بل لا يعدو أن يكون ضرباً من ضروب التساهل من الكتاب أو عدم وقوف على حقيقة الحال من تنوع الشعوب فى تلك الأقطار الشاسعة ، واختلاف أصولها وتنوع أجناسها .

وإن الحديث عن شعوب القوقاز ، وكثرتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم حديث قديم طويل ، حتى كان المؤرخون القدماء من العرب يسمون القوقاز بلاد الشعوب والجبال ، وكان زاعمهم يزعم أن فى تلك البلاد نيفاً وسبعين شعباً لكل شعب لغته الخاصة به ! . وكذلك كان صنيع مؤرخى الرومان واليونان ، فاسترابون يؤيد نظرية نيف وسبعين شعباً ، وهكذا بقيت هذه الأسطورة عالقة بالأذهان إلى عصور متأخرة جداً حتى جاء علم اللغات المعاصر ، وأعار هذه القضية أهمية خاصة ، وبحث مسألة تعدد لغات القوقازيين بحثاً علمياً دقيقاً ، واستطاع أن يهدم تلك النظريات ، والآراء الشائعة المبنية على معلومات غير دقيقة ، ففى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ابتدأ العالمان الألمانيان : « تليدن أسناد » و « بالاس » الأبحاث العلمية عن أصول اللغات القوقازية ، واستطاعا إرجاعها إلى الأصول الآتية :

١ — اللغة التتارية : وهى لغة الشعوب التركية الأصل .
٢ — « اللزكية : وهى لغة الداغستانيين .
٣ — « الكستينية : وهى لغة الججانيين .
٤ — « السركسيانية : وهى لغة الأديغة .
٥ — « الأوستينية : وهى لغة الأوسيت من الشعوب الإيرانية القديمة .
٦ — اللغة الكرتفليانية : وهى لغة الكرجيين .

وأصبح هذا التقسيم للغات القوقازيين أساس علم اللغات القوقازية فيما بعد استند عليه علماء القرن التاسع عشر واعتمدوه

وفى القرن العشرين أكد العالمان : « الفونس دير » و « نيقولامار » نتائج أبحاث أسلافهما فى تقسيم اللغات القوقازية ويرى عالم آخر من علماء القرن العشرين أن اللغات القوقازية يجب أن تقسم إلى فصائل أربع وهى :

١ — اللغة اللزكية : وهى لغة الداغستانيين .
٢ — « الججانية .
٣ — « الكرتفليانية : وهى لغة الكرج .
٤ — « الأبهاسية : وهى لغة قبائل الجركس .

ويعد بعضهم لغة الداغستانيين ولغة الججان من فصيلة واحدة وبناء على نتائج هذه الأبحاث العلمية يمكن تقسيم شعوب القوقاز الشمالى إلى قسمين أساسيين :

١ — سكان القسم الغربى من القوقاز وهم : الأبهاسو ، والأوبنج ، والشبسوغ ، الأزاخ ، القبرطاس ، الأبازة . وهى جميعاً قبائل جركسية .

٢ — سكان القسم الشرقي من القوقاز الشمالي وهم : الداغستان والججان . وإلى هذين القسمين الرئيسيين يمكن إرجاع بقية الشعوب والقبائل المنتشرة في القوقاز مثل : قره جاي ، بالكار ، قوميق ، نوغاس ، وهذه كلها من الفصيلة التركية ، وأوستين . وهي من الفصيلة الإيرانية ، والتي منها الفرس والكرد والأفغان .

هذا وقد سلك العلامة شمس الدين سامي بك في قاموس الأعلام مسلكا آخر في تقسيم شعوب القوقاز ، فهو يقسمهم أولا إلى سكان أصليين وأقوام طورانيين ، وأمم آرية ، ثم يقسم السكان الأصليين فيقول :

أما سكان القوقاز الأصليون ، فهم أقوام وأجناس وشعوب كثيرة ، ويمكن إرجاعهم إلى هذه الأقسام الرئيسية :

١ — الجركس الذين يسكنون حوض نهر قوبان وبالقرب من منابع نهر ترك الغربية في القسم الغربي الشمالي من القوقاز ، ويمكن أن يضم إليهم الأبازة[1] الساكنون في منحدرات سلسلة الجبال الغربية الجنوبية على القرب من سواحل البحر الأسود . والججن[2] الساكنون إلى الشمال من بلاد الداغستان .

٢ — سكان بلاد الداغستان الأصليون ، وهم اللزكيون الساكنون في المناطق الشمالية الشرقية من جبال القوقاز ، وهؤلاء اللزكيون من سكان القوقاز الأصليين ، كانوا يسكنون هذه البقعة من أقدم العصور حتى إن « هيرودوت » ذكرهم بهذا الاسم في تاريخه الذي كتب في حدود سنة ٤٥٠ قبل الميلاد .

ويحتمل أن يكون لهؤلاء اللزكيين صلات نسب وقرابة مع الكرج والجركس واللاز وغيرهم من أمم القوقاز الأصليين ، غير أن إثبات هذه الصلة بين هؤلاء الأقوام يفتقر إلى ما يثبته ، فهو مجرد احتمال لا دليل عليه .

٣ — سكان المنطقة الجنوبية من سلسلة الجبال أمثال الكرج والإيمرت والمنكرلي . وإذا كان بعض المحققين من العلماء حاول عد الكرج من الأمم الطورانية أو الآرية إلا أن الأدلة التي ساقوها لإثبات ذلك لا تعد كافية .

على أن بعض الأبحاث التي أجريت حول لغة الكرج تدل على أن الكرج مثل بقية أمم القوقاز لا يمتون بصلة إلى الآريين أو الطورانيين أو الساميين ، بل يغلب على الظن أنهم بقايا أمم قديمة منقرضة كانت اجتازت هذه المناطق في أثناء هجراتها من آسيا إلى أوربا ، ومن أوربا إلى آسيا .

٤ — أمة الأوسيت ، وسوآنت الساكنون بالقرب من منابع نهر ترك .

هذه خلاصة وافية لما ذكره العلامة شمس الدين بك سامي في قاموس الأعلام عن شعوب القوقاز ، ومنه ومما قبله من بيانات وآراء للعلماء والمؤرخين الموثوق بآرائهم يتبين أن الداغستانيين والكرج ، والججان ، والأوسيت ، والجركس أمم قائمة بذاتها لكل واحدة منها لغتها أو لغاتها الخاصة بها ، ولها كيانها المستقل . وعلى ذلك أرى أني حين قلت في الرسالة (العدد ٧٨٣ ص ٧٧٠) : إن اللاز يمتون بصلة النسب أو القرابة إلى الكرج ، وأن الكرج غير الجركس لم أكن مجانبا الحقيقة ، ولم أكن أحاول تسيير التاريخ حسب الهوى والغرض كما أردت أن تصورني أمام قرائك ، بل كنت أقرر حقيقة علمية ثابتة لا سبيل إلى إنكارها ، أو التحايل على طمسها .

وبعد : فإني أشكرك — يا سيدي الأستاذ — جزيل الشكر على أن أتحت لي هذه الفرصة للتحدث عن شعوب القوقاز بشيء من الإفاضة والتفصيل . والسلام عليك ورحمة الله .

(دمشق) — برهان الدين الداغستاني

(١) يلاحظ صاحب الأعلام أن بين لغة الأبازة وبين لغة بقية الجراكسة اختلافا كبيرا يتعذر معه التفاهم بين هؤلاء وبين أولئك . ولذلك يتردد في عد الأبازة من الجركس .

(٢) هذا يخالف لما سبق من عد الججن قسما قائما بذاته ، واعتبارهم مع الداغستانيين وينبغي ملاحظة عدم وجود أية صلة بين لغة الججن وبين لغة الجركس .

رحلات في ديار الشام في القرن (الثامن عشر الهجري)

اردان حلة الاحسان في الرحلة إلى جبل لبنان [١]

لمصطفى البكري الصديق

(١٠٩٩هـ - ١١٦٢هـ - ١٦٨٧م - ١٧٤٨م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

لا شك أن الدافع لرحلة الشيخ هذه وغيرها من الرحلات، وتنقلاته المستمرة في المدن والقرى، إنما كان حرصه على نشر الطريقة الخلوتية والاتصال بأعوانه ومريديه. ولقد كان الشيخ مكثاراً في النظم والنثر، بل إنه ليؤلف الكتاب أو الرسالة في أيه مناسبة. ولا شك أن نظمه ونثره يمثلان عصره أصدق التمثيل فقد امتاز هذا القرن بالسجع، والركاكة في الأسلوب، كما يتبين من دراسة رجال هذا القرن في كتاب أعيان القرن الثاني عشر للمرادي.

ولقد انتقل الشيخ من دمشق إلى القدس وتزوج فيها وتتلمذ على شيوخها وامتد نفوذه فيما بعد إلى جميع أنحاء فلسطين، وإلى سوريا بل وحتى إلى مصر والعراق.

وقد ساهم في الحياة العامة في فلسطين فعمر الحرم القدسي خلوة، وبئراً، وحاول أن يصلح البراغثة شيوخ بني زيد وكانوا قد اختلفوا فيما بينهم، كما شوق الحاج حسن بن مقلد الجيوش لزراعة الأشجار المثمرة حول قبة الصحابي سراقة في (كور) من أعمال قضاء بني صعب.

ويستدل من رحلته هذه أن حالة الأمن لم تكن مرضية في زمنه، فقد جاء ذكر تعدي الأعراب على القوافل بين الخليل وعسقلان، كما تعدوا على الشيخ القافلاني مفتي الديار القدسية، فسلبوه بعض ثيابه وما كان يحمل من الكتب.

ويلاحظ أيضاً أن الشيخ كان يغير طرق سيره، فبدلا من أن يسلك الجادة السلطانية بين القدس والخليل ماراً ببرك سليمان، غير طريقه إلى بني حسن وهي ناحية إلى الجنوب الغربي من القدس مخافة قطاع الطريق.

ويستدل من وصف الشيخ لبعض المدن التي اجتازها أن (حاصبية) كانت حينذاك قرية يقطنها الدروز وهي الآن مدينة كما أن مدينة حيفا التي بلغ عدد سكانها الآن مئة وخمسين ألفاً، لم تكن سوى قلعة حصينة على ساحل البحر المتوسط. ووصفه هذا لحيفا ينطبق على وصف معجم البلدان، بعض الشيء. فقد جاء في معجم البلدان (ج ٣ - ص ٣٨٢): « حيفا غير ممدود، حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، لم يزل في أيدي المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفرى الذي ملك بيت المقدس سنة (٤٩٤ هـ) وبقي في أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين في سنة (٥٧٣ هـ) وخربه ».

ويصف لنا الشيخ زيارته أكثر من مرة للخليل، ويذكر كرومها، ويستدل من هذا أنها كانت محاطة بكروم العنب وهو حالها اليوم.

ويذكر الشيخ فيما يذكر أن الأمر السلطاني صدر باسم والدته لتعمير قناة الماء إلى الحرم القدسي. وهذه القناة ليست حديثة فقد جاء في الأنس الجليل ج ٢ - ص ٣٨٧ عند ذكر الأمير تنكز الناصري نائب دولة المماليك في الشام « وهو الذي عمر قناة الماء الواصلة إلى القدس، وكان ابتداء عمارتها في شوال سنة (٧٢٧ هـ) ووصلت إلى القدس ودخلت إلى وسط المسجد الأقصى في أواخر ربيع الأول سنة (٧٢٨ هـ) وعمل البركة الرخام بين الصخرة والأقصى » وتعرف هذه الآن بالكأس، ويظهر أن هذه القناة خربت، فعمرت مدة ثانية كما يذكر الشيخ. وهذه القناة تمتد من برك سليمان إلى الحرم وتسيل بالانسياق لعلو برك سليمان عن الحرم القدسي، وهي من حجر.

والظاهر أن الشيخ كان أباً عطوفاً، فقد سر كثيراً بابنته (علما) وحزن حزناً عميقاً عند وفاتها وهي لا تزال طفلة، وقد رزق ولده محمد كمال الدين في القدس. ولقد كان الشيخ يزور مقام (علي بن عليل) وهو من نسل عمر بن الخطاب، ويعرف بسيدنا علي بن عليم عند العامة، وله موسم يقصده الزوار كل عام.

ويسجل الشيخ بألم ظاهر في هذه الرحلة وفاة قطبين عظيمين

(١) مخطوط في خزانة الكتب الخالدية

تتلمذ عليهما ، وكان يحترمهما أبلغ احترام أولهما الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي القطب الكبير وصاحب الرحلة إلى القدس سنة (١١٠١ هـ) ويعتبر الشيخ من أخلص تلاميذه ، والثاني الشيخ محمد الخليلي مفتي الشافعية في الديار القدسية ، والمصلح العمراني ، والمؤلف القطب ، وهو من أبرز رجال القرن الثاني عشر في فلسطين .

وفي الرحلة فوائد أخرى على رغم ركاكة الأسلوب ، وتكرار السجع الممل ، وانصراف الشيخ إلى نزعته التصوفية القوية ، وفيها بعض معلومات عن أصل سكان (الطيبة) من أعمال طولكرم ، ونسب البراغثة في جبل القدس ، وعن وقف قرية (عابور) في بني زيد للحرمين الشريفين ، وما إلى ذلك .

ومن لطائف المصادفات أن يحضر إلى الديار القدسية الرحالة المصري الشيخ مصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي ، سنة (١١٤٣هـ) وينزل عند الشيخ ، ويأخذ عنه الطريق ثم يصف لنا لقاءه الشيخ في رحلته المخطوطة ، « سوانح الأنس في رحلتي لوادي القدس » وقد أثبتنا رأى اللقيمي في الشيخ البكري .

وخلاصة القول أن هذه الرحلة المخطوطة التي لم تزد معلوماتنا كثيراً عن لبنان الجنوبي ، شيقة برغم جميع مآخذها ، فإنها تمثل القرن الثاني عشر ، وهو قرن تنقصنا عنه المعلومات والمصادر الوافية ، فتصف لنا بعض نواحي الحياة الفكرية ، وبعض أحوال البلاد القدسية وعمرانها ، ورجالها ولو كان أكثر من اجتمع به الشيخ من رجال التصوف والزهد .

ويظهر أن الملاريا (الحمى الربعية) أصابت الشيخ لتردده على مقام سيدنا علي ، وهي منطقة موبوءة بهذا المرض إلى عهد قريب ، فضايقته وأنهكته ، وحاول أن يتخلص منها بالدعاء والالتجاء إلى مقام سيدي داود !

ونحن بعد ذلك نترك للشيخ أن يتكلم ، إذ أنه بعد أن ختم الرحلة الرومية وبدأ في العراقية أراد أن يبتدىء برحلة بقاعية لبنانية فأسماها (اردان حلة الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان) فيقول : « اعلم أيها الأخ الواقف على هذه المواقف أن هذا الجبل المعظم المبجل المقصود بالزيارة ، جبل مبارك له خواص عند الخواص أهل الإشارة ، إذ من المعلوم ، لدى أرباب الفهوم والاختصاص ، إن الله تعالى اختص بعض الأمكنة والأزمنة والأشخاص ، وقد طرق السمع ، من أهل المرفة والسمع ، أن لهذا الجبل ، الذي يبقى الحبل ، حالاظاهر الرجحان ، وإنساً باهر الميزان ، وأن كل من حوله ممن له قدم في الولاية يأتيه زائراً ولو بالروحانية وهذه على فضيلته آية »

وكان كثيراً ما يجول في الخاطر ، ويتكرر وروده على الضمير المخاطر ، أن يشد الشيخ الرحل على عيس السرى إليه ، لعله يحظى من بر أهله ومما لديه ، ولكن الأقدار كانت تمنع . ولما آن الأوان ، قصد البقاع العزيز ملتجئاً لحمى المهيمن الملك العزيز ، وبعد ما ودع الخلان والأصحاب والإخوان والأخدان يقول :

« وتوجهت مستعيناً بالديان ، نحو الديماس ، مع رفقة حسان يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة عام أربعين ومائة وألف (١٧٢٧ م) . وقصدت حمى الصالحية ، وقرأت الفاتحة لسكانها أهل الرتب الفلاحية ، ثم صمدت إلى جبل قاسيون ، وحصلت نفحة إقبال من هداة فتحه وتجاوزت قبة السيار الشائقة ، التي تحت قبة النصر الشاهقة وممن رافقنا لهذه الزيارة والقدس الفياح ، الصديق الشيخ عبد القادر الموصلي ثم البغدادي السياح ، المنتمي للعصابة السهروردية المتصلة أنسابهم بالأسرة الصديقية ، والأخ السيد محمد السلفيتي العباسي ، المحب الآسي والصديق المواسي ، أول آخذ للطريق في الخطرة الأولى ، وقد ذكرته في الخمرة الحسية في الرحلة القدسية ، وفي غيرها من الرحلات الأنسية ، وكان الأخ أكبر مساعد ومعين على إظهار الطريق في الديار القدسية ، وكنت قبل هذا التوجه الطويل المسافة أذنت له بلبس الكسوة والإرشاد لطلاب الإضافة . وممن صحبني أيضاً زوج الوالدة ، لا برحت في الجنان خالدة ، والأخ من الرضاع ، الحاج إبراهيم جميل الأوضاع ، المستقيم على قدم الحب من الصغر ، كأنما نقش على فؤاده نقش الحجر ، فلم يتغير بتوالي الزمان ، لأنه ذو باع فيه طويل ، قد عرف بابن الطويل في النسب . وممن صحبني أيضاً الأخ الواعي ، الشيخ محمد البقاعي ، خفيف الحركة ، ثقيل البركة ، لحمله للنسبة الوطنية دليل الركاب ، وسرنا نتملى بشهود وجوه أولئك الأحباب . ولما أظلنا وادى بردا [بردى] الظليل ، قابلنا بعده أول قتيل هابيل النبيل ، فقرأنا له الفاتحة .

وأنشدت الدليل قرب الديماس : مرتجلا بقصيد مفيد الإيناس :

قد أتينا لقرية الديماس   نرتجى رشف خمرة الإقباس

ونزلناها مع الرفاق (زاوية بنى تغلب) وبعد أداء الصلاة الوسطى وختام ورد العصر البسام ، ورد كتاب من الصهر الهمام الشيخ إسمعيل العالم النبيل المقدام ، مصدراً له بأبيات جسام وهى :

فرقة للحبيب يوم الخميس   أورثت فى الجنان رعب الخميس
أهل ودى زاد التلهف منى   حيث فارقتكم لدى التفليس

وتوجهنا للبقاع وهو جمع بقعة موضع يقال له بقاع كلب قريب من دمشق . قال فى المراصد : وبهذا البقاع قبر إلياس

ولما وصلنا باب وادى القرن أنشدت مواليًا :

لقد قرنا الصفا بالبسط أيا قرن   لما أتينا صباحاً باب وادى القرن
ومذ عذول الحشا قد غاب ذاك القرن
دام التصافى لى مابعد نفح القرن

وجاءنى الأخ البقاعى ، بشيح (١) نشره عابق للبشر داعى ، فكتبت وأنا على الدابة أسمه ما يجرى على القرطاس :

يا خليلىّ للبقاع فسيحا   تريا مربعاً هناك فسيحا
واسقيانى كأس المدام لديه   وانشقانى فيه خزاماً وشيحا

ولما أشرفت على الجبل ، إذ زال الخبل قلت :

يا ساكنين السفح من لبنان   هيجتمو بسناكم أشجانى
حولتمو قلباً أحب وقالباً   فأتيتكم أسعى على أجفانى

وقد اقتفينا من الدليل العزيز الجليل الأبر ، الأثر ، لأنه أسلم ، وما زال يصعد بنا العقاب التى هى صعود للجوزاء بلاسلم ، لكن راقيها بإمداد من حل فيها للعناية والرعاية والحماية والكفاية يسلم ، حتى أتينا قرية نبى الله زريق فقلت :

يا نديمىّ من منام أفيقا   هل أن تلتقيا لوصل طريقا
وانهجا منهج الحماة وسيرا   للمعالى كى تنشقونى عبيقا

ثم زرنا فى القرية مقاماً للخضر أبى العباس ، وسبب تعدد مقاماته ، شهوده فيها لكثرة تطوراته ، وهذه علامة على حياته ، خلافاً لمن دندن بوفاته . وللدليل قريب فى القرية ثغره بسام ، أنزلنا لديه فقدم ما قدر عليه من إكرام ، وعزمنا فى الصباح أن بنزل سهل البقاع ، فرأيت مناماً دل على توديع السكان ، من ذلك النزل لعارض حر وعدم إركان ، فأتيت مع الرفاق إلى تل مشرف ، وأهديت النازلين من محمد وأركان الفواتح ، وقلت :

يا سراة نحو العزيز الخفير   بلغوه سلام صب حقير(١)
خبروه بأننى مستهام   فى هواء بحرقة وزفير الخ

وبعد أن ودعنا المضيف بالأمس ، جزنا إلى الشيخ يعقوب المنصورى ، وهذا الذى صنع البركة الإبريزية للملك الرشيد نور الدين الشهيد فعمل منها أوقافاً على عد عين تورا وزيد ، ومنها قاعة الفقراء فى الربوة بين تورا وزيد ، وزرنا أولاد شيخنا الجيلانى ، ثم تقدم بى الدليل بعد الزيارة إلى قرية (كوكب) قاصداً فيها صلة رحم وقرب أحباب ، فأنشدته مرتجلا لما غيم الكدر انجلى :

إننى فى سفرتى هذى التى   فاق محياها سراجاً كوكبا
لم أزل أرق الملا مع رفقتى   ولهذا قد رقينا كوكبا

وسرنا إلى (الذنبة) ، بهمة طيبة الحضور والغيبة ، ولما امتلأت بالسرور العيبة ، فتقت بالحبور الوفور الجيبة ، قصدنا بجمعنا قرية (حاصبية) فإذا هى قرية كبيرة مملوءة الأكناف بالطائفة الدرزية ، ومضينا للخان ونزلنا لديه ، ومنه جدينا السرى حتى أتينا قرية (ميس) ، الحاملة أهلها لواء ربيعة لا قيس ، الشيمة المائسين بحب الآل أى ميس . وهذه القرية من بلاد بشارة فأنشدت :

جاء ممن أحب ليلا بشارة   مذ حللنا يوماً بأرض بشارة الخ

وصعدنا محلها العالى ذو الامتناع ، ونزلنا عند صديقنا الغالى على بقاع ، وأمسكنا لديه معاملا بإكرام ، وسرنا للدير والقاسى(٢) بأنس تام ، ونزلنا عند أحبابنا فى القاسى ، وحبب لى أن أمدح أهل الدير والقاسى ، لأنهم أهل قرب وقرابة كل منهم لا يرى تشفيما فقلت :

إذا رمت أن يسقيك سمان فى الدير
أنخ جمل الترحال فى القاسى والدير الخ

وأشرت بصالحهم لصالح أكبر أولاد مراد فإنه صالح .

(لها بقية)   أحمد سامح الخالدى

(١) الشيح بالكسر نبات منه أصفر الزهر يشبه السذاب فى ورقه وهو الأرمنى ومنه أحمر غليظ الورق وهو التركى ، وكله طيب الرائحة ومنه عربى ينبت فى بلاد العرب ترعاه المواشى .

(١) ممن ذكرهم الشيخ فى قصيدته ، شيث ، وإيليا ، ونوح ، وإلياس والتهرى ، وإيلون من الأنبياء ! وسيدى مبافر ، والرمانى ، والحداد ، والمنصورى ، وأولاد الجيلانى .

(٢) هى قرية دير القاسى من أعمال صفد الآن .

أذلاء صهيـــــون ...

للأستاذ حامد بدر

أذلاء صهيون يريدونهـــا غصبا
فهل قنصوا العنقاء أم خطبوا الخطبا ؟
أما طـــوا عن الغدر اللئام فأيقظوا
أسوداً تصب المـوت فوق العدا صبا
(فلسطين) أرض لا ترام لغاصب   وهل يطعم الرئبال من لحمه الكلبا
ومن يبتغ العنقاء يعلن غباءه   وإن أخا (صهيون) فى بغيه أغبى
وما وعد (بلفور) سوى وهم واهم   به قومه أغرى فأضرمها حربا
وما الحرب إلا مصرع البغى وحـده
ونصر لمن لله والحق قـــد ابى
ولست أرى فى مجلس الأمن منفـذا
لأمن ولـكنى أرى الخـــوف والرعبا
ولم أر يوماً دولة ذات صولة   تنيل الضعيف الحق أو تضمر الحبا
ومن تخذ الخصم الألد مواليـا   كمن تخذ الشيطان من جهله ربا
ومن سالم الطاغين يوماً فإنه   هو الحمل المسكين قد صادق الذئبا
وليس يرد البغى إلا بمثـــله   فويل لأهل البغى من فاتك هبا
وويل لهم من كل ظمآن زاحف   يعب دم الأعداء يوم الوغى عبا
وويل لهم من غضبـــة عربيـــة
إذا التهمت نيرانهـا الرطب والصلبا
وويل لهم من ثورة لا ينيمها   سوى قطعهم طعناً وتمزيقهم ضربا

* * *

أذلاء صهيـــون على الوهم قد بنوا
لهم دولة فى الأرض ناطحت الســحبا
أكاذيب آمال وآمال كاذب   وقد حلت الآمال لو لم تكن كذبا
وقد آمنوا الويـلات فى وقفة الرحى
فـــلم يحفظوا للعهد واستأنفوا الحربا
فهل أطمعتهم (هدنة) قد سموا لها   وربضة ليث بالمنية لا يعبـا ؟
وقـد برزت أنيـابه توهم الرضـــا
ولـكن نفس الليث ما برحت غضبى
وهـــل نسى البـاغون حرباً عنيفة
وقد ركب الباغون مركبها الصعبا ! ؟
فلم يتقوا سخط الحليم إذا انتضى   من الغمد صمصاما وجرده عضبا
وكل جبان يحسن القفز آمنا   وعند وثوب الليث لا يملك القلبا
وما حظهم من هدنة يخرقونها   سوى أنهم يبغون فى ظلها الوثبا ! ؟
وقد أمنوا الآســاد لما تقيدت   بعهد عليها وحدها حرم الحربا
كأنهم الأطفال هاموا بلهوهم   فلم نلم الأطفال أن عشقوا اللعبا
ألا أيها الصنديد فى حومة الوغى   عدوك رعديد على الذل قد شبا
يهيم بجمع المـال طول حياته   فيعشـقه عشـقاً ويعبده ربا
ومن يعبد الدينار لم يك باسلا   ولم يعل رأساً من على النشب انكبا

* * *

أذلاء صهيون يبيعون ما به   يضن الجواد السمح . تباً لهم تبا
ولا نقص فيما يبيع يزعـج بالهم
إذا العرض النامى على العرض قد أربى
همو يحسبون المـال من أى مورد
غنى ومن الخسران قد طلبوا الـكسبا
وقد زعموا فى الشرق نهبة ناهب
وضاقوا ببأس الشرق فاستظهروا الغربا
وأنصارهم فى الغـدر من يعتصم بهم
فقد ثـكل الأنصار والآل والصحبا
يريدون إطفاء الشموس جهالة   بأفواههم والله سبحانه يأبى !

حامد بدر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حب الرافعي :

عزيزي الأستاذ عباس خضر :

قرأت كلمتك في العدد ٧٩٥ من « حب الرافعي » وما كتبه في إحدى المجلات السورية حول هـذا الموضوع صديقنا الأستاذ حسنين مخلوف « الأديب الذي استهلكه التعليم » ، وما عقب به صديقنا أيضـاً ... الأستاذ كامل محمود حبيب « الأديب الذي استهلكته الوظيفة » ، وما علقت به على ذينك الرأيين ، أو ذلك الرأي الواحد المعروض على القراء في صورتين ؛ ثم سؤالك من بعد : « هـل عند أحد من سائر تلاميذ الرافعي شيء في هذا الموضوع » ؟ .

وقد فهمت من سؤالك هـذا يا صديقي أنك تمنيني ، ولعل هذا ما فهمه أكثر قرائك أيضاً ... فلولا أنني مشغول الآن بما يكاد « يستهلكني » أنا أيضاً من أسباب الدفاع عن حريتي في الفن ، وعما ينالني به بعض أهل الأدب من أسباب الكيد — لرأيتني سريعاً إلى جوابك ؛ ولكنه موضوع لم يفُـت أوانه على كل حال ...

أما أن الرافعي كان يحب « مي » صدراً من كهولته وإلى آخر عمره ، فشيء لا أنكره ولا شك فيه ، وليس ينكره أو يشك فيه الصديقان الأديبان مخلوف وحبيب ؛ ولكن الذي ينكرانه أو يشكان فيه هو « ماهية هذا الحب » هل كان حباً عقلياً ، أو حبـاً فنياً ، أو حبـاً إنسانياً ، أو حب كل رجل لكل امرأة ... !

هذه هي القضية كما عرضها الصديقان فيما رويت عنهما ؛ وليس أمراً ذا بال — والمسألة بهذا الوضع — أن أخالفهما أو أوافقهما ؛ فإن المخالفة أو الموافقة في « الرأي » لا تمحو حقاً ولا تثبت باطلا ، وإنما يمحو ويثبت أن نختلف في « الرواية » ، وأنا قد «رويت» أن الرافعي كان يحب « مي » ، وقد « رويا » مثلي هذه الرواية ، ولكنهما بعـد ذلك تناولا الأمر على نحو فلسفي ، فراح كل منهما يصف هـذا الحب في رأيه ويحاول استكناه حقيقته ، فزعما أن حب الرافعي لمي لم يكن حباً انفعالياً ، بل كان حباً إرادياً يقصد إلى هدف وغاية ... وهو نحو من التعليل قد يكون موفقـاً ، وقد يكون التعليل الصحيح غيره ؛ فهذه قضية سيكلوجية وفنيه يحتاج بحثها والفصل فيها إلى مقدمات ، وإلى دراسة نفسية معقـدة تستند إلى أسانيد من « الرواية » ، وإلى خبرة عملية في الحب . . . واسمح لي أن أستخدم هذا التعبير ...

وأنا قد حرصت منذ أول يوم حاولت فيه تأريخ الرافعي أن أكون « راوية » ... راوية فحسب ، لا فراراً من تبعة الرأي ، بل مبالغة في التجرد عند تأريخ حياة لم يزل صداها يرن في أذني وأنفاسها تعبق في جوي ؛ ولكني مع هذا الحرص على التجرد الخالص لم أدع شاردة ولا واردة من ذكرياتي ، أو من مذكراتي ، عن حياة الرافعي ، إلا ذكرتها ؛ لتكون مقدمات الحكم ماثلة تحت عيون الباحثين من أهل الأدب حين تتقادم السنون ويصير الرافعي تاريخاً خالصاً لا تختلط به أصداء الذكريات الحية في نفوس بعض الذين عاصروه أو استمعوا إلى حديثه أو اتصلوا بحياته من قريب أو من بعيد ، وستجد يا صديقي في الفصل الطويل الذي تحدثت فيه عن « حب الرافعي » من كتاب « حياة الرافعي » من أسباب العلم بهذه « الحادثة » ما يهيء لك أن تحكم وأن تكون في هذه القضية صاحب رأي .

أما « رأيي » أنا ؛ فاني حتى اليوم — وقد مضى على وفاة الرافعي — أحد عشر عاماً وأشهر — ما أزال أشعر أني منـه قريب قريب بحيث لا يتهيأ لي أن أكون في قضية من قضاياه صاحب رأي مجرد ...

ولكني ما أزال مع ذلك أصر على أن الرافعي — رحمه الله — كان يحب مي صدراً من كهولته وإلى آخر عمره ، حباً ما ... وأنها أحبته ذات يوم ... حباً ما ؛ ولكن حبها إياه قد انتهى

قبل أن ينتهى حبه ، أعنى قبل أن ينتهى عمره !

والسلام عليك .

محمد سعيد العريان

هذا ما تفضل بكتابته إلى صديق الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان ، وحقاً كنت أعنيه ، فهو مؤلف « حياة الرافعى » ولكنى كنت أطمع أن يبدى رأيه من حيث كتابة الرافعى فى الحب ودلالتها على صدق العاطفة أو عدم صدقها ، مع الملابسات الواقعية التى يعرف دقائقها ، ولكنه آثر التجرد ... وأود أن تتاح الفرصة القريبة ليتجرد من هذا التجرد ويكتب « أدب الرافعى » الذى لابد أن يتضمن فصلا فى حب الرافعى ، وعندئذ لا يستطيع أن يتجرد من الخبرة العملية فى الحب ...

أين الأديب الحر ؟ :

أثار الأستاذ إبراهيم على أبو الخشب ، مسألة الأديب الموظف والأديب الحر ، فعبر عن الأول بأنه « يتحتم عليه أن يكون أدبه فى حدود اللون الذى تتلون به الوزارة القائمة » واتخذ الأستاذ الزيات مثلا للكاتب الذى يستثمر الحرية فيما يكتب .

وأقول أولا إن المثل لا بد له من أمثال ، وأستاذنا الزيات له ظروف خاصة ليس لأحد مثلها ، هيأها وبلغها بجهده وقلمه ، وأصبح قلمه بهذه الظروف محرراً مما يقيد الأقلام ، فهو لذلك لا يصلح مثالا . وإذا تجاوزناه فإننا نبحث عن الأديب الحر بمصباح ديوجين .. سواء أكان موظفاً فى الحكومة أم غير موظف ، فأين هو ..؟

إن الأدباء غير الموظفين — أى الذين كان ينبغى أن يكونوا أحراراً — تتقاسمهم شتى القيود ، فمنهم المقيد بالسياسة الحزبية ، ومنهم من يؤثر المنافع التى يملكها أصحاب السلطة فيكتب لهم ويغضى عنهم ، ومنهم من يحكمه لون من الصحافة يدر عليه الرزق الوفير .. وهـذا هو فلان الأديب الكبير الذى ترك الحكومة ليكون حراً فى عالم الكتابة .. هل صار حراً ؟ كان الله فى عونه ، ويسر له الرجوع إلى الوظيفة ، ليخرج فى ظلها الفن المصفى الذى كان يخرجه .

ثم انظر فى إنتاج الأدباء غير الموظفين وفيما يكتب الكتاب الأحرار ... أترى فيه شيئاً — فيما عدا السياسة الحزبية — كان يمكن أن تمنع منه وظيفة حكومية من حيث التحرر والتقييد ، وأين هو الأدب الذى أدى رسالة لا تتفق مع قيود الوظيفة الحكومية ؟ قد يكون هناك من آثر الصحافة مثلا على العمل الحكومى ، استجابة لميل شديد إلى الصحافة أو رغبة فى ربح مادى منهـا ، أو للعمل مع حزب من الأحزاب ، أو إباء تحكم الرؤساء ؛ ولكن من هو الذى رغب عن الوظيفة للحرية الأدبية فكان أديباً حراً ؟

ولعلنا نخلص من كل ذلك إلى قضية جديرة بالنظر ، وهى : هل فيما وراء أدبنا مجال وقف الأدباء عند شاطئه متهيبين أو عاجزين ، أو إنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟

من أخطاء الإذاعة :

أخطاء المذيعين فى اللغة وفى غير اللغة ، لا أول لها ولا آخر ، وهذا مما يؤسف له أشد الأسف ، لأن الإذاعة لسان مصر الناطق حقاً لا مجاز فيه ، فلا يليق أن يلحن هذا اللسان فى نطقه ويهلهل لغة البلاد ، ولا يليق أن يكون مدى علم المذيعين بشئون الأدب والثقافة ما يدل عليه خبطهم فى هذه الشئون خبط عشواء ... ولكن أى شئ لائق فى الإذاعة ؟

وكثيراً ما أتذرع بالصبر حيال تلك الأخطاء ، ولكن الذى لم أستطع الصبر عليه حذلقة بعض المذيعين والمذيعات بقولهم بعد انتهاء جزء من البرنامج : « سمعتم فى هذه الربع ساعة كذا » ويظهر أنهم مفتونون بهذا التعبير افتتانهم بإعلان أسمائهم مقرونة بإخراج البرامج والتمثيليات .. يظهر أنهم يستملحون ذلك التعبير فيكررونه ويتناقلونه مزهوين به كأنه « ذيـل الذئب » الذى تنسب البطولة إلى من يأتى به . . ولا يدرون أنهم يصكون به أسماع أهل الذوق العربى السليم . وآخر ما سمعته كانت تنطق به مذيعة تجتهد أن تعرب فى أكثر الأحيان ، وتلحن أحياناً ... قالت : «سمعتم فى هذه الربع ساعة تقاسيم على الكمان من حضرة صاحب العزة مصطفى بك رضا » وقد أوقعها التقليد فى هـذا الخطأ وإن كانت تحرص على الصواب ، ولذلك أصححه لها هكذا : « سمعتم فى هذا الربع الساعة » أو «سمعتم فى ربع الساعة الماضى»

والأحسن أن تدع هذه الحذلقة كلها وتقول : «سمعتم كذا» وتخلص نفسها من هذه الورطة ، وتخلص صوتها الرقيق من تلك الشائبة . أما الذيعون (الخناشير) فليخبطوا كما يخبطون ...

ومن أخطاء المذيعين التي لاحصر لها ، نسبة الأغنيات إلى غير قائليها ، فما لعلي طه ينسب إلى محمود حسن اسماعيل ، وتصور ما لإيليا أبوماضي مثلا ينسب إلى محمد الأسمر !

وأشنع ما سمعت من هذا القبيل أن قدم أحد المذيعين أغنية لأم كلثوم من شعر شوقي فقال إنها من تأليف «محمد شوقي بك» ! ولا أظن هذا المذيع يخطىء في اسم «محمود شكوكو» كما يخطىء في اسم أمير الشعراء .

ومن أخطاء الإذاعة في تنظيم البرنامج ، هذه الأناشيد الحماسية التي تلقيها الأصوات المزعجة في منتصف الليل أو قبيله ، فهل يطالب من المستمعين أن يأخذوا قسطهم من الحماس قبل النوم ؟! وعلى من بكر منهم في النوم أن يهب مذعوراً على صوت راديو الجيران أو القهوة المجاورة ، ليأخذ نصيبه من ذلك الحماس ! وعلى هؤلاء وأولئك أن يكونوا جميعاً وطنيين متحمسين في أحلامهم طول الليل . .

افتتاح دورة المجمع اللغوي :

افتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، الدورة الحالية يوم الاثنين الماضي ، فانعقد مجلس المجمع برياسة الأستاذ أحمد حافظ عوض بك باعتباره أكبر الأعضاء الحاضرين سنا ، وذلك لمرض صاحب المعالي لطفي السيد باشا رئيس المجمع .

ومما أقره المجمع في هذه الجلسة التوسع في تعزيز اللجان بالخبراء الفنيين الذين يندبون للعمل بلجان المجمع لقاء مكافآت ، فيعملون مع الأعضاء لإنجاز الأعمال الفنية .

وعرض على المجلس موضوع اختيار أعضاء مراسلين للمجمع من لبنان والجزيرة العربية ، فأجل النظر فيه ؛ والمقصود من هذا الموضوع استكمال تمثيل البلاد العربية في المجمع من حيث عضوية المراسلة ، فقد سبق أن اختير أعضاء مراسلون من سائر أقطار العروبة ماعدا هذين القطرين الشقيقين . والرأي متفق على هذا الاستكمال ، أما موضع النظر فهو تعيين الأشخاص .

اليهود دائما :

جاء في تقرير كتبه عن اجتماع مؤتمر المستشرقين في باريس ، الدكتور إبراهيم بيومي مدكور ممثل المجمع في المؤتمر — ما يلي :

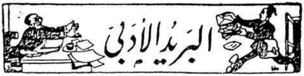
« ولقد حاولنا أن نظفر بتقرير عقد الاجتماع المقبل للمؤتمر في القاهرة ، وكان لنا بين الأعضاء أنصار كثيرون ، ولكن الأمر انتهى للأسف بتقرير عقد الاجتماع المقبل في اسطنبول . ومرد هذه النتيجة إلى أسباب أهمها » :

« ١ — التأخر في وصول الدعوة الرسمية بحيث لم تبلغ إلا قبيل انعقاد الجلسة الأخيرة .

« ٢ — تأثير مشكلة فلسطين على العلاقة بين الشرق والغرب عامة وبين مصر والدول الأوروبية والأمريكية بوجه خاص ، والجهود الكبيرة التي بذلها المستشرقون اليهود وأنصارهم في سبيل حمل المؤتمر على عدم تقرير اجتماعه المقبل في القاهرة . »

وهكذا يحارب اليهود الجهود العربية في كل مجال ، حتى في الهيئات العلمية ، وهكذا يستجيب لهم الغربيون حتى ذوو « الأرواب » العلمية .

عباس خضر



الجويم :

وردت هذه الكلمة فى محاضر المؤتمر السرى الذى عقده شيوخ اليهود فى القرن الماضى ، وهو الذى لخصته فى مقالات فى الرسالة وعلقت عليه . وقد ذكرت اللفظة مراراً بنصها هذا كما ذكرها مترجم تلك المحاضر عن الروسية إلى الانكليزية وفسرها بقوله أنهم يطلقونها على جميع الأمم غير اليهودية ، وعلى النصارى على الخصوص . وفى أثناء نشر مقالاتى فى الرسالة علمت من خبير أن كلمة جويم تعنى « الانجاس » والجوى « نجس » وهم يعنون أن جميع الأمم غيرهم « أنجاس » .

وفى العبارة التى نقلتها مجلة الأزهر عن الرسالة ، ونصها : « لأن وظيفة هؤلاء الحكام الوطنيين (أعنى باشاواتنا) أن يمسكوا البقرة (اقتصاديات مصر) بقرنيها لكى يحلبها شعب الله المختار (الجويم) قصدت بأن « الجويم » نعت لشعب الله المختار (كما يسمون أنفسهم) أعنى أنى نعتهم بما ينعتون به سائر الأمم لأن تصرفاتهم وسلوكهم وأخلاقهم تثبت أنهم أنجس الأنجاس كما يعلم كل إنسان على وجه الأرض .

نقولا الحداد

عقيدة جلال الدين الرومى :

اتهم الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ فى مقالة « جلال الدين الرومى » المنشور فى العدد الأخير من مجلة الرسالة الزاهرة بأنه « حلولى » وذلك بدون إبداء أسباب مقبولة أو إيراد أقوال صريحة عنه تؤيدان هذا الاتهام .

ومع الأسف الشديد أؤكد أنه ما من باحث إلا ويلاق الكلام فى الصوفية جزافاً ويرميهم بأحد المذاهب المضلة الباطلة التى لا يقرها عقل ولا يؤمن بها قلب ولا يعتنقها إلا كافر بالله أو ملحد لم يشم رائحة الإسلام الذى هو فى روحه ومعانيه يقدر موضع العبد من خالقه الذى ليس كمثله شىء .

ونعيذ المتصوفة أن تكون من الفئة المارقة الخارجة على الدين الإسلامى الحنيف . وإنى أسأل : هل شققنا عن قلوب هؤلاء المتصوفة فرأينا أنهم كانوا على الباطل فى حياتهم وأنهم تركوا الدين وراء ظهورهم فلم يؤدوا ما أمر الله به ولم ينتهوا عما نهى الله عنه أو انسلخوا عن الدين فاعتقدوا أن الرب عبد والعبد رب . إن هذا قول لا يقره عقل ولا دين .

وإنى إذ أبرىء[1] المتصوفة من مذهب الحلول تطيب نفسى أن تشهد بأن جلال الدين الرومى من هؤلاء الصفوة المختارة الذين كان لهم أثر محمود فى إظهار نور الشريعة قولا وفعلا واعتقاداً .

فلله هؤلاء الصوفية البؤساء الذين لم يسلموا من ألسنة الناس فى حياتهم وبعد مماتهم ، ورحمهم الله .

(شطانوف) محمد منصور خضر

المفعول معه وواو المعية :

تعرض الأستاذ أحمد عبد اللطيف لمناقشة ما كتبته حول المفعول معه وواو المعية ، فأورد أموراً رأى أنها تحتاج إلى المناقشة فقال :

١ — إن سياق الآية « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم » بعيد عن الدقة لأنى قلت إن الإيمان منصوب على أنه مفعول معه . والرد على هذا من وجوه .

(أ) لست فى كتابتى الموضوع أبحث عن ترجيح إعراب للآية دون إعراب ، ولم أمنع أن فيها أوجهاً أخر ، والأستاذ متفق معى على أن الصبان فى حاشيته على الأشمونى أوردها على الرأى الذى ذكرته ، وأزيده أن السيوطى فى كتابه همع الهوامع أوردها كذلك فقال « وجاز النصب على المعية وعلى إضمار الفعل الصالح نحو فأجمعوا أمركم وشركاءكم ومثله تبوءوا الدار والإيمان . فالإيمان مفعول معه أو مفعول به باعتقدوا مقدراً » . فإذا كان للآية أو للشاهد عدة أوجه — وكل وجه منها صحيح — كما فى الآية واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، بجر الأرحام عطفاً أو مقسماً بها ، وبنصبها عطفا به ، ألا يجوز للكاتب أن يذكره فى معرض الاستدلال وبخاصة إذا كان سليما من التأويل والتقدير ؟

(ب) الآية وردت فى الأنصار . فمن قال بتقدير فعل مناسب احتاج إلى أن يقول : تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان من قبل المهاجرين . ثم احتاج إلى أن يقول تبوءوا الدار

(١) يراجع مقالنا « لا حلول ولا اتحاد عند الصوفية » المنشور فى الجزء الرابع من مجلة الكتاب الغراء — يوليو سنة ١٩٤٨ — وفيه أسباب الاتهام والتبرئة .

من قبل هجرة المهاجرين . وذلك لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وإنما بعدهم وإن كانوا آمنوا قبل هجرتهم . ومن قال بتقدير فعل يصح انصبابه على الاسمين احتاج إلى أن يقول : لزموا الدار والإيمان من قبل المهاجرين ثم لزموا .. من قبل هجرة المهاجرين . أو قالوا في الحالين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وأخلصوا الإيمان . أو لزموا الدار من قبل المهاجرين ولزموا الإيمان وعلى كليهما اضطررنا إلى تأويل وتقدير أو تقديم مع أن هناك قاعدة مشهورة وهي أن ما سلم من التقدير أولى مما احتاج إلى تقدير .

(ج) أما من يرى أن الإيمان مفعول معه فقد تجنب أكثر هذا التكلف ، قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط : قال ابن عطية والمعنى تبوءوا الدار مع الإيمان وبهذا الاقتران يصح معنى قوله — من قبلهم — فتأمله .. اهـ

(ه) يوهم ما كتبه الأستاذ أن الفراء والفارسي والمازني إلى آخر من ذكرهم قد تعرضوا للآية عند التكلم على التوضيح إذا امتنع العطف والمفعول معه كقوله :

علفتها تبناً وماء بارداً   حتى غدت همالة عيناها

وكقوله :

إذا ما الغانيات برزن يوماً   وزججن الحواجب والعيونا

أضمر فعل ناصب للاسم الواقع بعد الواو وهذا قول الفراء والفارسي ومن تبعهما . وذهب الجرمي والمازني والمبرد وأبو عبيدة والأصمعي واليزيدي إلى أنه لا حذف وأن ما بعد الواو في «البيتين» معطوف على ما قبله ، وذلك على تأويل العامل المذكور قبلهما بعامل يصح انصبابه عليهما معاً فهو من باب التضمين » ومثل ذلك ذكره السيوطي في الهمع . فالشاهد الذي يعارضني به الأستاذ وقد استمده من النسق — وأزيده أنه قد ذكره غيره — إنما هو فيما لا يحسن أن توضع فيه واو المعية ولا يحسن فيه العطف فاضطروا إلى التأويل والتقدير أما الآية فهي فيما يجوز فيه النصب على واو المعية وإضمار الفعل الصالح . فالتنظير غير تام بين الآية والبيت . ومن كل هذا نخلص إلى أنني لم أكن بعيداً عن الدقة وإنما كنت أقرب إليها منه ، هذا في الوقت الذي لم أكن أقصد في بحثي الأسبق إلى ترجيح إعراب على إعراب وإنما كنت أقصد إلى أن الواو في المفعول معه نص في المعية بدون تجوز أو تأويل ، وشواهدي التي سقتها صريحة في هذا ومنها الآية الكريمة . ولا يكفي في الرد أن يقال هذا بعيد كل البعد أو أن هذا ضعيف من غير تبيان وجه البعد أو الضعف ؛ فإذا ذكر بعض المفسرين أن المفعول معه في الآية ضعيف بدون حجة يبديها ، لا يكفي في الإبعاد والإضعاف ما دام التعبير سليما واضح المعنى .

٢ — يظاهرني الأستاذ على نقدي تعريف المفعول معه ومن العجب أنه مع ذلك يريد أن يعتبر — بدون قصد — استذكرت والمصباح وأمثاله صحيحاً مع أنني قد بينت أنها أمثلة خاطئة إذ أنك لا تقول في كلام عربي فصيح استذكرت مع المصباح وإنما تقول استذكرت على ضوء المصباح . ولعل الأستاذ لم يتنبه إلى مرادي في بحثي الأسبق فكان منه ما اعترض به .

٣ — إن أسلوب الأستاذ الإفهامي — الذي ذكره — ليستدني القاعدة إلى أفهام تلاميذه إنما هو الواقع أسلوب يستبعدها . ألا ترى أن التلميذ وهو في الرابعة الابتدائية لا يتابعك حين تقول له : « استذكرت والمصباح ، إن ما بعد الواو لا يصح أن يقع منه الحدث إذ أن المصباح لا يستذكر . وإن المصباح مفعول معه وليس معناها استذكرت مع المصباح أي مصاحبا المصباح وإنما حصل « الحدث » مقارناً للمصباح » . ولكن يفهمك من أول الأمر إذا قلت خرجت والأصيل ، أي مع الأصيل . وهذا ما قلته سابقاً وما جعلني أخطئ مؤلفي كتب القواعد التي ابتدعوا فيها أمثلتهم فلجئوا إلى تعريف يوضح ابتداعهم العجيب .

٤ — قال الأستاذ إني أحلت قول الشاعر «لا تنه عن خلق وتأتي مثله» إلى الحال وأنني قد تجوزت في رأيي تجوزاً بعيداً . وأنا من جهتي أعجب للأستاذ ألا يتنبه إلى أن قولي إنما كان «تمهيداً» وضعته ليكون ضابطاً لمعرفة واو المعية وفاء السببية ، ولن تجد شاهداً صحيحاً يخرج عن رأيي ، فالآية : ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، معناها والله أعلم أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا مع حالة كونهم غير مكذبين بالله ومع حالة كونهم من المؤمنين . ومثل هذا يقال في الأمثلة والشواهد التي ذكرتها في بحثي الأسبق . وإني لشاكر للأستاذ أن أتاح لي فرصة الإيضاح، ولعله تنبه إلى ما أردت وذلك على قدر ما أعلم ، وأختم بما ختم به وفوق كل ذي علم عليم .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوي

شجرة الزقوم فى امتحان الرسم :

نشرت « الرسالة » مقالا للأستاذ عباس خضر ، انتقد فيه السؤال الخاص برسم الجحيم وشجرة الزقوم ورءوس الشياطين. إلى آخر ما ترمز إليه الآيات الشريفة . . وأرى أنه من الواجب قبل النقد أن يقف حضرته على الأسس التى بنى عليها هذا التطور المفاجىء فى طرق تدريس هذه المادة والغاية التى تسمى إلى تحقيقها ، هناك أمران مهمان :

أولا : يجب أن تخاطب الصورة المطلوب التعبير عنها « قلب » الطفل ونفسه فيمتلىء بها شعوره وإحساسه ، بصورة خاصة أدركها فكره الخاص ، فإذا ملأت الصورة قلبه وفاضت بها روحه واستحوذت على مشاعره ، كان لها عليه سلطان شديد . فإذا ما أعطى الفرصة للتعبير عنها ، جاء تعبيره ترجمة صادقة لما يجول فى عوالم نفسه . وما دام قد فاض الينبوع من صدره وتفجر من أعماق نفسه ، ففى تعبيره هذا تأكيد لنفسه ولشخصيته ، وفيه شفاء لغليله وريا لظمأه . وهذا يختلف عما إذا خاطبت الصورة المطلوب التعبير عنها « عين » الطفل ، فهو فى هذه الحالة يحاول أن ينقلها لنا نقلا جيداً فيصبح ذلك المقلد الماهر لما يراه لا المعبر الصادق لما يجول فى عوالم نفسه .. وشتان بين هذا وذاك ، كما أن الصورة المنقولة عن العين تخاطب « العقل » شأنها فى ذلك شأن سائر المواد الدراسية الأخرى التى يحيا فيها الطفل طول الأسبوع . أما الصورة المنقولة عن القلب فتخاطب « العاطفة » . ويجب أن نذكر أن فى هذا التنويع ضرورة لحياة الطفل فهو عقل وروح .

ثانياً : الصورة التى تخاطب العين تكون واضحة فى ذهن الطفل فهى دائماً أمام عينيه واضحة كل الوضوح ، مما يجعل الدافع النفسى عند الطفل إلى التعبير عنها ضعيفاً أو معدوماً ، فلا حاجة به إذاً ، ولا دافع كذلك فى نفسه يدفعه إلى التعبير عنها حتى يراها أمام عينيه على ورقة الرسم . على العكس من الصورة التى تخاطب القلب فهى غامضة فى ذهن الطفل ، شديدة التأثير فى نفسه كما يبدو ذلك جلياً فى الأحلام مثلا فيكون الدافع النفسى عند الطفل للتعبير عنها قويا شديداً ، محاولا فى ذلك أن يزيح النقاب عن وجه الصورة التى يحسها — فغموضها فى ذهنه يدفعه إلى محاولة إيضاحها فى الرسم ، وقوة تأثيرها فى قلبه تدفعه إلى التعبير عنها بالرسم — ليرى فى النهاية ما أحسه بنفسه غامضاً قد أصبح واضحاً أمام عينيه على الورق .. كالحاجة الملحة التى تدفعنا إلى تذكر الحلم فى الصباح .

ولست أوافق الأستاذ عباس خضر فى أن يقصر « مقدرة التخيل » على المباقرة كأبى العلاء ودانتى ولكنها عامة عند الجميع ولعل فى ذكر الجحيم وشجرة الزقوم ورءوس الشياطين صوراً غامضة تثير نفس الطفل نحو التعبير عنها .

ولسنا نبغى من وراء هذه الخطة أن نكلف الناشىء العادى أن يكون فناناً كما ذهب حضرته فى ذلك ، وإنما رائدنا تكوين شخصية نامية مستقلة عند الطفل ، يحس بها إحساساً ذاتياً معتمداً عليها فى كل ما يعترضه فى الحياة . إذ يجب ألا يكون العالم الخارجى هو النموذج الأعلى عند الطفل يقلده فيحس بصغر شأنه إزاءه ، ولكن يجب أن يحس الطفل عملياً بقيمة نفسه ، وبأنه النموذج الأعلى فى هذا الوجود .

كامل بطرس عصفور
مدرس الرسم بمدرسة المنصورة الثانوية للبنات

وحدة الأسماء :

كتب الشاعر الرقيق — أحد من تشرفت بمشاركته فى الإسم الكريم — الأستاذ محمد محمد على (السودانى) كلمة فى العدد الماضى من الرسالة ، عن اشتراك أكثر من واحد فى اسم واحد ! وقد عرفت من مطالعتى المستمرة للرسالة ، أن هناك — فى محيط الرسالة على الأقل — ثلاثة يحملون اسمه الكريم . أما الأول فهو مترجم السادهانا (كنه الحياة) لطاغور (وهناك مترجم آخر لها وهو الأستاذ طاهر الجبلاوى (تحقيق الحياة) . وأما الثانى فهو الشاعر (السودانى) . وأما الثالث فهو العبد الضعيف كاتب هذه السطور ، الذى نال شرفاً عظيما باشتراكه فى الإسم مع كرام أفاضل . وقد نشر له فى الرسالة الغراء فصول فى التاريخ والاجتماع ، مترجمة عن هانز كوهن والأستاذ جب . وهو طالب بليسانس الجغرافيا بكلية الآداب .

لقد كان الصديق الشاعر على حق فى سودنة اسمه « سودنة خفيفة لطيفة » ليست أخف من قصيدته ولا ألطف ..

محمد محمد على
قسم الجغرافيا بجامعة فؤاد



الاسكندر الأكبر (*)

تأليف الأستاذ أرثر ويجال

نحن اليوم نستقبل الصبح من نهضة فنية مباركة ، تسرع شمسها نحو الشرق لتملأ الدنيا نوراً ودفئاً ، ونحن اليوم أشد ما نكون رغبة فى دراسة سير الأبطال ممن جاد بهم التاريخ — والاسكندر شخصية ذائعة الدوى فى أسماع الزمن ، فلا يكاد التاريخ يحدثنا عن ملك اجتمعت له كل أسباب الشهرة كما اجتمعت للاسكندر ، فلقد شغل الكتاب والمؤرخين ، والباحثين ، والعلماء فى كل زمان ومكان ، ومن هؤلاء من رافقه من المهد إلى اللحد ، ومنهم من كان فى ركابه لما خرج من مقدونيا غازياً فلم تعظم عليه أشد البلاد بأساً وعناداً ، ومنهم من اضطلع معه بشئون السياسة والإدارة تخبر أساليبه وما قدر لها من نجاح أو فشل ، ومنهم من عنى بتدوين يومياته ومذكراته الخاصة وأقواله ، فكان منهم القسط وكان منهم المتحامل المتعصب الذى رى فيه شاباً حالفته الشهرة ولم يسع لها سعيها وهو مؤمن. على أنه لم يكد ينتصف القرن الأول الميلادى حتى نشر الاسكندر أربعة بحوث هامة كتبها ديودور الصقلى وبومبى وأرفوس، ولكن أوفاها ما كتبه بلوتارخ .

والمؤلف الذى بين أيدينا كتبه أستاذ كان مفتشاً عاماً للآثار بمصر وهو ممن تخصصوا فى دراسة تاريخ حياة شخصيات التاريخ اللامعة ، فنحن نعرف من مؤلفاته حياة أخناتون ، الخاصة » وهو إمام الوحدين فى العالم القديم ، « وحياة كليوباترا الخاصة » فاتنة الأجيال ، ونيرون ومارك أنطونيو ... وهو يتناول سيرة الاسكندر ويعنى بنسبه وموطنه ، ويصاحبه طفلاً غريراً ، وفتى يافعاً، وشاباً طموحاً ، ومحارباً بطلا ، وسياسيا فذا ، وعاشقاً متزناً ، لا يصرفه الغرام عن الواجب ، وقائداً منصوراً لا يدفع به الظفر إلى الأسراف فى البطش .

ويشير المؤلف إلى النقطة التى بدأ عندها بحثه فيقول: بدأت بحثى من النقطة التى ظل يعتريها الغموض أجيالاً طوالا فلم أرها واضحة كل الوضوح فيما قرأت من مؤلفات ، تلك هى مشكلة ولادته . فلقد ظل يعتقد بأنه ابن للآلـه الأغريقى المصرى (زيوس آمون) ، ولعل هذا الاعتقاد قد أضفى على شخصه لونا من القدسية ظلت عالقة فى أذهان الناس قرونا بعد وفاته ، ففى بعض بلدان العالم كان ينظر إليه كآلـه حق مبين ... وفى بلاد الأغريق والرومان كانوا يعتقدون أنه الآلـه الثالث عشر لأسرة الأولمب ، وتروى عنه أحاديث اليهود أنه كان خادماً ليهوه المبشر بالمسيح ، وصاحب عرش سليمان ، والمسلمون يرون فيه بطلاً وفقه الله ليحق الحق ويمحق الضلال ، وفى بعض كنائس المسيحيين كانوا يعتقدون أنه واحد من قديسيهم متجاهلين بذلك السبق التاريخى.

وينتقل بنا المؤلف إلى صبا الاسكندر ، ويوضح لنا كيف كان فى صباه فارساً مشغوفاً بالركوب والرياضة ، مليئاً بالثقة بنفسه ، كثير النقد لكبار رجال الدولة ، يطعن فى تصرفاتهم ، ويثبت أخطاءهم ، وهى صفات يقول عنها رجال التربية اليوم إنها من صفات النجباء البررة .

ويوضح لنا المؤلف ناحية دقيقة من حياة الاسكندر وأبيه ، والمجتمع الذى نشأ فيه ، فيقول : «ويلحظ الأب على ابنه الصبى أمارات الأنوثة» — لا يخطئها الناظر إلى تمثال الاسكندر الشاب المحفوظ بالمتحف البريطانى — «فهو مليح المحيا ، وضاح الجبين ، تجرى فى وجهه الأبيض حمرة خفيفة رائعة كالتى يراها المرء على وجوه فتيات الأغريق » إعتاد أن يميل برأسه بلطف ورقة ... له عينان ناعستان جذابتان ، يحب أشعار هوميروس حتى أطلقوا عليه (عاشق هوميروس) ... يهوى الموسيقى ويلعب بأنامله الرقيقة على أوتار القيثار فيخرج بها أنغاما لينة ناعمة .

كان كل هذا مما يقض مضجع الأب ، فقد كان أشد ما يخشاه أن يمسى ابنه واحداً من غلمان مقدونيا ممن يتسرى بهم رجال الدولة ، ولو أنه هو نفسه كان أحد هؤلاء الرجال . ففكر ودبر ، وهداه طول التفكير والتدبير إلى أن يدفع به إلى أيدى أرسطو ليؤدبه ويعلمه الفلسفة والحكمة والعلوم الماشية .

ويصاحبنا المؤلف إلى جلسات التلميذ من أستاذه الفيلسوف

(*) نشرة آيروسبوترزود بلندن ١٩٤٨ .

وبين لنا جانباً من تعاليم أرسطو للاسكندر ، وكيف هضم الاسكندر هذه التعاليم وتشبث بها واستخدمها وصار يفضى بها للناس كلما حانت ساعة الإفاضة .

وفى سنة ٣٣٥ ق م كان الاسكندر قد بلغ الحادية والعشرين من عمره ، وكان قد خلص من توحيد ممالك شبه الجزيرة تحت التاج المقدونى ، وكان قد فرغ من حشد حملته التاريخية التى خلدت اسمه ، وانطلق بها يغزو امبراطورية الفرس فى شرق الأرض

ومن أدق ما صوره لنا الأستاذ وبجال فى كلامه عن الاسكندر السنة الأخيرة من حكمه ، فقد أحصى المؤلف على الاسكندر حركاته وسكناته ، وساعاته ولحظاته ، وأورد لنا نصوصاً من خطبه فى جنده المتمرد ، وكيف تمكن بلباقته وحسن أدائه وسرعة خاطره من كبح جماحهم دون أن يذلهم ، وكيف كان الرجل صاحب فكرة ، فلم يكن فاتحاً تدفعه شهوة الفتح ، ولم يكن ملكاً يبغى الملك ويعشق السلطان ، بل كان هذا وكان يدين بمبدأ الأخوة العالمية والاندماج العنصرى بين الشرق والغرب فأعد لجنوده حفلا كبيراً لتزويجهم من الفارسيات بالجملة ، واتخذ له بطانة من قادة السيف والعلم من الفرس وقربهم إلى نفسه تقرب إلى نفوسهم ، وأحبهم فعظم إخلاصهم له مما أحقد عليه أجناده المقدونيون .

ويحدثنا المؤلف عن بناء الاسكندر لأسطوله العظيم فى ثغور المشرق ليدور به حول أفريقيا ويعود من بوغاز جبل طارق إلى الاسكندرية ، فيكون قد كشف ما خفى من أقاليم العالم ، ويتم له توحيدها تحت تاجه . وكان الأسطول يرقب يوم السفر حينما أصيب الاسكندر بالحمى — لعلها الملاريا — وألحت عليه العلة وهو يصارعها بما جبل عليه من حب الصراع . إلا أن الاسكندر قد رقد ولم يطل رقاده أكثر من ثلاثة أيام ودع بعدها الدنيا وهو أكثر ما يكون شباباً وحيوية وأملا فى إقرار عدل عالمى ، ما أحوجنا اليوم قبس منه ...

والكتاب بحث من البحوث العلمية الدسمة ، فهو لا يترك شاردة ولا واردة من حياة الاسكندر إلا أحصاها ، وينقد المراجع القديمة والحديثة نقداً علمياً منزهاً ويخرج بالقارىء برأى المؤلف واضحاً لا غموض فيه ، وهو كتاب تاريخ لمن يحب التاريخ ، وكتاب أدب لمن يعشق الأدب ، وصفحة بطولة ومجد وفخار تهوى إليها كل الأفئدة .



وحيـــدة

للكاتب الانجليزى دورد آفنيل

ترجمة الأديب حسن فتحى خليل

كانت الحجرة الطويلة تلمع فيها الأضواء المنعكسة من زجاج النوافذ العالية ، وضوء شمس الربيع الزاهية يلامس رؤوس المدعوين إلى حفل الزواج وقد انتشروا جماعات فى أركان الحجرة

وابتسمت السيدة تربل وهى واقفة وحدها على السلم الذى يفضى إلى تلك الحجرة .. وتذكرت فجأة أشياء غريبة .. فهاهى حلقة جديدة من حياتها تبدأ اليوم .

لقد كان أول ماتبدلت تلك الحياة حينما تزوجت من ريتشارد ، ثم لحقها تغير آخر حين مات زوجها بعد عشرين عاماً .. والآن هاهى ابنتها قد تزوجت ، وقذفت الحياة أمها نحو مستقبل مجهول. ولأول مرة ستغدو وحيدة .

ولقد حدثتها نان فى ذلك قبل هـذا بيومين وهى تحيطها بذراعيها وقالت : « أرجو أن تكونى بخير فى وحدتك يا أماه .. لقد كنا معاً دائماً لمدة طويلة ، أنا أعرف أنك ستفتقديننى » فابتسمت السيدة تربل وقالت « لا تنزعجى يا نان ، سأتغلب على هـذا » .

فقالت ابنتها : « فى استطاعتك دائماً الإقامة معنا أنا وتوم يا أماه » فأجابتها « سنرى ذلك » .

ووقفت تراقب زوج ابنتها وهو يتنقل بين المدعوين .

ستغدو وحيدة ، لا تطهى طعاما لأحد ، ولا ترتب حجراتها لشخص ما ، ستعود إلى منزلها فى الغروب وتتناول عشاءها بمفردها .. وسيبقى الباب مغلقاً حتى الصباح .

منذ عشر سنوات وهى لم تشعر بانفرادها أبداً ، لقد كانت تحس بوجود نان بجانبها دائماً ، حتى وهى تحتسى القهوة مع صديقاتها أو وهى جالسة فى ظلام دار السينما . لقد كانت نان فتاة طيبة ، فحين توفى والدها أصرت على أن تبحث عن عمل ، وكانت حينئذ فى الثانية عشرة من عمرها . وباجتهادها وتوفرها على عملها أمكنها بعد سنتين أن تغدو سكرتيرة لرئيس العمل .

وبعد خمس سنوات تغيرت حال عائلة تربل فإذا هم يذهبون لقضاء أيام العطلات فى توركواى وينزلون فى الفنادق الفخمة ويقيمون حفلات الشاى والكوكتيل الأنيقة .

ولقد قالت السيدة تربل يوماً لابنتها نان « أليس من الأوفق يا عزيزتى أن نقيم فى أماكن أقل تكاليف ، فأنا أعتقد أن نقودك لن تحتمل كل هذا ، وأنا لا أرغب فى كل هـذه الكماليات كما تعرفين » .

ولكن نان ابتسمت وهى تقول « يجب أن نتمتع قليلاً يا أماه . إنى أوفر لك السعادة وما عليك إلا أن تستريحى وتتركى لى أنا التصرف فى أمورنا المالية » .

ولم تتناول السيدة تربل هذا الموضوع بالحديث ثانية . إن نان فتاة طيبة ، إنها لتذكر حين كانت تصحبها وهى طفلة إلى شاطىء البحر . كان زوجها ريتشارد ما زال على قيد الحياة حينئذ ، كانتا تتمشيان على الشاطىء فتهمس إليهما الأمواج ويداعب الماء أقدامهما ، ويستمتعان بتلك الأنوار السحرية التى تلمع فى أركان السماء الداكنة ، ثم يقفان خلف المقاعد يستمعان إلى الموسيقى النحاسية تعزفها الفرقة العسكرية ... وكانا يحرصان خلال هذه الأيام على كل بنس يمتلكانه .

ولكن نان بدلت من كل هذا ، فلقد أصبح منزلها أنيقاً .

وهى تذكر دائماً كلما وضعت قبعتها ومعطفها صوت نان تسألها :

— « أخارجة أنت يا أماه » ؟

— « نعم يا عزيزتى » .

— « أتقصدين مكاناً معيناً » ؟

— « كلا ... سأتمشى قليلا فى الحديقة » .

— « سأصحبك.. فلايجب أن تذهبى وحدك أبداً ، وسنحتسى

القهوة معاً حين نعود » .

وهكذا .. كانا يذهبان إلى كل مكان معاً ، وكانت تحرص نان على ألا تسكون والدتها وحيدة .

وسار الحال على هذا التوال حتى العام الماضى ، حينئذ ظهر اسم توم يبرز فى أحاديث نان ، كان رئيسها ، وهو شاب طويل أنيق ذو ابتسامة جذابة .

وأصبحت نان ترتدى ملابسها فى أوقات الغروب وهى تقول لوالدتها :

— « أتسمحين لى بالخروج » ؟

— « طبعاً » ...

— « أقصد أنك ستبقين بمفردك هذا المساء » .

فتبتسم السيدة تريل لابنتها وهى تقول — « أنت فتاة طيبة يا نان .. أخرجى وتمتعى » .

وحتى فى هذه الأوقات وبالرغم من وجودها فى المنزل بمفردها ، كانت تشعر بوجود نان معها دائماً ، وكانت تعرف بأن المفتاح سرعان ما يدور فى ثقب الباب بعد الحادية عشرة بقليل . . . وعليها أن تقوم بتحضير القهوة وترتيب الجو فربما جاء توم مع ابنتها .

ولقد كان توم فتى لطيفاً ، وحينما طلب يدنان ابتسم فى خجل وهو يقول :

— « أنا أعرف أنكما متلازمتان . . وأنا لا أرغب فى أن تشعرى بالوحدة حين تتزوج نان ، وأرجو أن تمتقدى أننا نرحب بك للاقامة معنا دائماً » .

ولكن السيدة تريل كانت تخشى دائماً التدخل فى حياة أى فرد . إن الشابين الصغيرين سيرغبان فى الانفراد ، وعليهما أن ينعما بحياتهما الخاصة . لذلك قالت « سترى ذلك يا توم » .

والآن قد بدأت الحلقة الجديدة ، وسيظهر أفق حديث فى حياة السيدة تريل . وكانت ما زالت واقفة فى مكانها على السلم وهى تبتسم لهذا الطوفان من الذكريات .

وتجمع الضيوف ولاحظت توم وهو يشير إليها ويصيح بكلماته التى لا تسمعها وسط الضجيج ، وبدأت تهبط السلم ، ثم سلكت طريقها بين المزدحين . كان شعورها يبعد بها عن الضجة والمرح إن سعادتها يشوبها الجد وإحساس دقيق من الأسى لمرور الوقت وانتظاراً للحظة — الفاصلة — .

وأخذت نان بيدها وهى تنظر إليها بعينين لامعتين ثم قالت :

— « الوداع يا أماه . »

— « باركك الله يا نان . »

— « آه ... يا أماه ... أرجو ألا تشعرى بالوحشة ، بل يجب ألا تستسلمى لذلك الشعور » .

— « الوداع يا عزيزتى نان . »

وفتح الباب فانتشر ضوء الشمس وتعالت الأصوات المرحة حول السيدة تريل الواقفة فى هدوء على عتبة المكان وأشارت إليها نان بيدها وهى جالسة داخل السيارة . وضحك توم . . ثم تحركت السيارة . . وزادت سرعتها حتى اختفت فى منعطف الشارع .

وظلت السيدة تريل واقفة وقد غمرها شعور من الأسى ولم يقطع خيط تأملاتها سوى صوت يقول :

— « يا عزيزتى السيدة تريل .. كم ستفتقدين نان ! »

كانت جارتها فى المنزل ، فابتسمت قليلا ثم قالت فى هدوء :

— « سيبدو الأمر غريباً بدونها »

— ستقعدين وحيدة ، لقد قضيت معها أوقاتاً طيبة . . أيام العطلات فى نور كواى . . مآدب العشاء فى المنزل ، كل هذه الأشياء ستثيرك .. ومع هذا .. هل ستقيمين بمفردك ؟ »

فهزت السيدة تريل رأسها وهى تقول « أعتقد أنه يجب أن أسافر لبضعة أيام أولا ... »

وكانت ما زالت تبتسم فى هدوء والسيارة تنقلها خلال الشوارع المزدحمة إلى منزلها .

هبت نسمة دافئة حين وصلت السيدة تريل إلى تلك البلدة على شاطىء البحر التى اعتادت أن تزورها هى وابنتها وزوجها حينما كان على قيد الحياة ، وسارت السيدة تريل فى بطء بمحاذاة الشاطىء ، كانت الأضواء تتلاعب فوق رأسها ، وجعلت تراقب الصيادين وهم يقومون بعملهم .. وتمشت على الرمال ... وكانت معالم الناس تختفى فى ظلال الظلمة الهابطة ... وأحست بانفرادها لا يواجهها سوى البحر ، وسرحت نظرها فى الشاطىء من أوله إلى آخر ما يحده بصرها ..

كانت غارقة فى ذكرياتها ... لطالما مرت بها كل هذه المناظر من قبل ، وإذا بالماء يداعب قدميها ، فتشعر بإحساس من الغبطة يملأ نفسها بالرغم من وحدتها » .

حسن فتحى خليل